رحلة
من بريدة إلى المدينة المنورة

قبل ٦٠ سنة وحديث عن رحلات انطلقت منها بعد ذلك

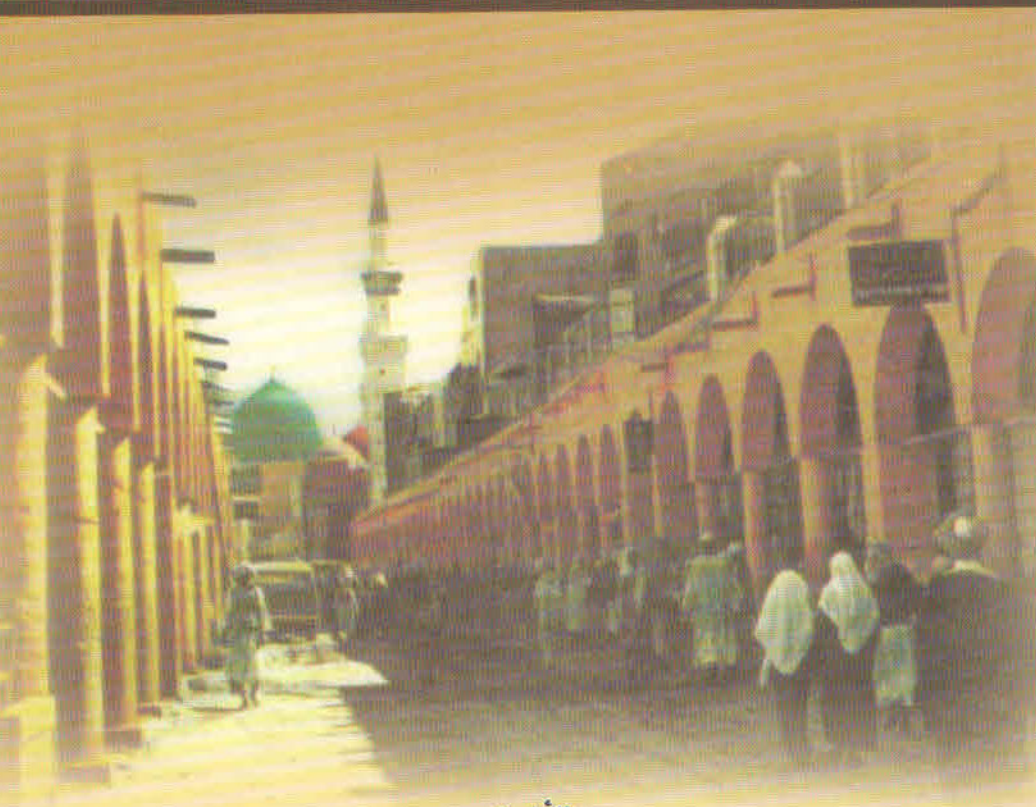

تأليف

محمد بن ناصر العبودي

رحلة من بريدة إلى المدينة المنورة

قبل ٦٠ سنة وحديث عن رحلات انطلقت منها بعد ذلك

تأليف

محمد بن ناصر العبودي

ح دار الثلوثية للنشر، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي، محمد بن ناصر

رحلة من بريدة إلى المدينة المنورة. / محمد بن ناصر العبودي

. - الرياض، ١٤٣١هـ

٩٦ ص، ١٤ × ٢١سم

ردمك: ٦ - ٦ - ٩٠١٢٥ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- السعودية - وصف ورحلات ٢- بريدة (السعودية) - وصف ورحلات

٣- المدن والقرى - السعودية أ - العنوان

ديوي ٩١٥،٣١ ١٤٣١/١٤٦٣

رقم الإيداع: ١٤٣١/١٤٦٣

ردمك: ٦ - ٦ - ٩٠١٢٥ - ٦٠٣ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

الناشر

دار الثلوثية للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

تليفون: ٤٥٠٧٨٣٢ - فاكس: ٤٦٤٥٩٩٩

email :tholothia@gmail.com

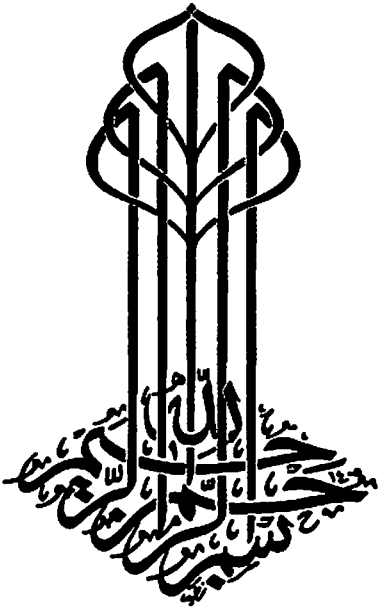
بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الناشر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :-

فإن الراصد لمسيرة العلامة الرحالة الموسوعي معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي يدرك كثرة العلوم وتزاحمها في دائرة اهتماماته حباً ومطالعة ومدارسة وتدويناً .

وإذا كان معاليه قد عُدَّ عميد الرحالين بلا منازع قياساً على كثرة رحلاته ومدوناته ومؤلفاته ومطبوعاته التي كتبها .

فإن هذا الكتاب يأتي مقدماً معالي الشيخ محمد العبودي رحالة داخل وطنه حيث كتب هذه الرحلة الهامة منذ أكثر من ستين عاماً ، مستعرضاً الصعوبات التي لقيها خلال الرحلة وصورة المدينة المنورة في الستينيات الهجرية والحياة العلمية والاجتماعية هناك إضافة إلى وصف دقيق للمسجد النبوي الشريف .

ليضيف للمكتبة عملاً إبداعياً توثيقياً متميزاً ، وإنني أدرك أنني لن أستطيع تقديم دراسة مفصلة عن هذا الكتاب وهذه الرحلة إلا أنني أزف البشرى للقراء وهي قرب صدور أحد أهم كتب الرحلات وهو كتاب "رحلات في البيت " حيث يتناول فيه عدد

من رحلاته داخل المملكة العربية السعودية وهي تتوافق مع عمله العظيم وجهده الكبير في علم الرحلات.

وختاماً فإن دار الثلوثية وهي تقدم هذا الإصدار الجديد والذي يعتبر إضافة مهمة إلى أعماله وريادته في العديد من العلوم والمعارف .

نسأل الله أن يحفظ شيخنا وأن يمده القوة من عنده ليكمل مشاريعه العلمية الكبرى والتي ينتظرها محبوه والعارفون بفضله وقدراته .

كتبه

محمد بن عبدالله المشوح

١٤٣١/٢/٢٠هـ

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- طبع بيروت، دار الثقافة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا- الرياض، دار العلوم، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين- الرياض، النادي الأدبي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي- الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان- الرياض، جمعية الثقافة والفنون، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- نشرته دار العلوم في الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين- نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي- مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية- طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست، عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين- الرياض، المطابع الأهلية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال- رحلة وحديث في شؤون المسلمين- الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى- المطابع الأهلية للأوفست في الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي- الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل- نشره النادي الأدبي في أبها، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر- طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي- مطابع الرياض الأهلية للأوفست، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ، مطابع الفرزدق،

الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض،١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٥) جمهورية أذربيجان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية- نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان- طبع ببيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال- طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين- طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في

مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألمانيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية- محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكري- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القريم- نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجريا (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية،

الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان- نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية- نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غينيا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا- طبع في مطابع التقنية للأوفست- الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا – نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور- مطابع النرجس التجارية، الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك (من سلسلة الرحلات الهندية) مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين (من سلسلة الرحلات الصينية) طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية- طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي (من سلسلة الرحلات القوقازية) طبع في مطابع التقنية للأوفست، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار (من سلسلة رحلات الشمال) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي- طبع مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة- مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي- طبعته مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠ هـ.

(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة، مطابع

النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفيتي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي، طبع في مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٩) إقليما سمارا وأستراخان (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا)، نشرته دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٧٠) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٧١) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا (من سلسلة الرحلات الكاريبية) مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٢) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢١هـ.

(٧٤) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٥) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٦) في جنوب البرازيل (من سلسلة الرحلات البرازيلية) مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٧) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٨) بلغاريا ومقدونيا (من سلسلة الرحلات في بلاد البلقان) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٩) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٠) بيليز والسلفادور (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨١) (العودة إلى ما وراء النهر) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٢) (على سقف العالم) رحلة في التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٤٢٢هـ.

(٨٣) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨٤) بلاد العربية الضائعة (جورجيا) طبع في مطابع العلا، الرياض،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٥) الاعتبار في السفر إلى ماليبار (من سلسلة الرحلات الهندية)، نشره النادي الأدبي الثقافي في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٦) ذكريات من خلف الستار العقيدي، رحلة في شرق أوروبا وأحاديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٢هـ.

(٨٧) بالي، جزيرة الأحلام، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٨) غايتي من السفر إلى هايتي، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٩) إلى جنوب الشمال: بلاد السويد، طبع في مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢٣هـ.

(٩٠) وراء المشرقين رحلة حول العالم وحديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩١) إلمامة بجنوب الفلبين لحضور الاحتفال بافتتاح المباحثات السلمية بين الحكومة الفلبينية وجبهة تحرير مورو الإسلامية، ومشاهدات أخرى، مطابع النرجس عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٢) رحلة هونغ كونغ وما كاو، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٣) إلى أقصى الجنوب الإفريقي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٤) شمال سيبريا (من سلسلة الرحلات السيبرية) مطابع النرجس، الرياض، عام ١٤٢٤هـ.

(٩٥) فوق سقف الصين: رحلة في الشمال الغربي من الصين،

وحديث عن المسلمين، طبعته مطبعة العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٦) إقليم أورنبورغ (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا) طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٧) إلى إريتريا بعد ٣٦ سنة، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ.

(٩٨) الشرق الشمالي من البرازيل: رحلة في ولايات: برنانبوكو وريوقراندي دي نورتي وبارابيبا (من سلسلة الرحلات البرازيلية) طبع في مطابع العلا في الرياض.

(٩٩) من غينيا الاستوائية إلى ساو تومي: رحلات في القارة الإفريقية، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(١٠٠) من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية) مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠١) إلى شمال الشمال: بلاد النرويج وفنلندا (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية)، مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ.

(١٠٢) في غرب أستراليا (من سلسلة الرحلات الأسترالية) (تحت الطبع).

(١٠٣) (نظرات في شمال الهند) مجلدان، طبع في مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠٤) جولات فنزويلية وحديث عن المسلمين في أحد أركان القارة (من سلسلة رحلات في أمريكا الجنوبية)، مطبعة النرجس

في الرياض عام ١٤٢٧هـ.

(١٠٥) الحل والرحيل في بلاد البرازيل (ثلاثة مجلدات من سلسلة الرحلات البرازيلية)، (تحت الطبع).

(١٠٦) في وسط الهند، طبعته مطبعة النرجس عام ١٤٢٦هـ.

(١٠٧) قوادي لوب وانتقوا وسان مارتن (من سلسلة الرحلات في البحر الكاريبي) نشرته دار الثلوثية للنشر والتوزيع عام ١٤٢٩هـ.

(١٠٨) في شمال شرق آسيا، رحلة في سيبريا ومنغوليا، طبع مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٦هـ.

(١٠٩) القلم وما أوتي، في جيبوتي، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٥هـ.

(١١٠) خلال أوكرانيا بحثاً عن المسلمين، (من سلسلة الرحلات في بلاد الشمال)، (تحت الطبع).

(١١١) مقال في زيارة منطقة الأورال، (من سلسلة الرحلات في وسط روسيا) وهو تحت الطبع.

(١١٢) بورتوريكو وجمهورية الدومنيكان، (من سلسلة الرحلات الكاريبية)، نشرته دار الثلوثية للنشر والتوزيع عام ١٤٣٠.

(١١٣) جمهورية القبائل الروسية (رحلات في جنوب روسيا)، (تحت الطبع).

(١١٤) في غرب سيبيريا، مشاهدات وأحاديث في شئون المسلمين (الرحلات السيبيرية) - (تحت الطبع).

(١١٥) شمال أستراليا، رحلة وحديث في أحوال المسلمين (الرحلات الأسترالية)- (تحت الطبع).

(١١٦) إلمام بالمحيط الهادي من أستراليا إلى جزيرة قوام (الرحلات الأسترالية)- (تحت الطبع).

(١١٧) إلى الشرق الأقصى الروسي (الرحلات الروسية) تحت الطبع.

(١١٨) في أقصى شرق الهند (الرحلات الهندية) تحت الطبع.

(١١٩) رحلة أخرى إلى الحبشة بعد أربعين عاماً – تحت الطبع.

(١٢٠) جنوب أستراليا (الرحلات الأسترالية) – تحت الطبع.

(١٢١) رحلة من بريدة إلى المدينة والمنورة قبل ٦٠ سنة وحديث عن رحلات انطلقت منها بعد ذلك، وهو هذا الكتاب.

مؤلفاته مطبوعة في غير فن الرحلات

(١٢٢) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات)-نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(١٢٣) أخبار أبي العيناء اليمامي- طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(١٢٤) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبدالعزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ وأعادت نشرة دار الثلوثية للنشر والتوزيع عام ١٤٣١هـ .

(١٢٥) كتاب الثقلاء- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٢٦) نفحات من السكينة القرآنية- طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس- نشرته دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ.

(١٢٧) مأثورات شعبية- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي وأعادت نشرة دار الثلوثية للنشر والتوزيع عام ١٤٣١هـ .

(١٢٨) سوانح أدبية- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٢٩) صور ثقيلة- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٣٠) العالم الإسلامي والرابطة- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع

في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

(١٣١) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء، مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٣٢) المقامات الصحراوية- مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(١٣٣) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة- بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية- نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي، الرياض، ١٤١٩هـ.

(١٣٤) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، نشرته جامعة أم القرى،مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٣٥) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة)- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة، ١٤١٩هـ.

(١٣٦) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبدالعزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(١٣٧) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(١٣٨) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٣٩) واجب المسلم في بلاد الأقليات، نشرته رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(١٤٠) (العالم الإسلامي: واقع وتوقعات) نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها.

(١٤١) الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعته مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٤٢) (حِكَمُ العوام)، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٤٣) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، في أربعة مجلدات.

(١٤٤) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

(١٤٥) أثر الأقليات المسلمة في الدعوة الإسلامية، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(١٤٦) الكناية والمجاز في اللغة العامية، نشرته مجلة الدرعية التي تصدر في الرياض، ١٤٢٣هـ.

(١٤٧) أماكن قديمة العمارة في القصيم، نشرته مكتبة العبودي في بريدة لصاحبها صالح بن عبدالله العبودي.

(١٤٨) معجم الألفاظ الدخيلة في لغتنا الدارجة، نشرته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض في مجلدين- عام ١٤٢٥هـ.

(١٤٩) المقامات البلدانية، نشره النادي الأدبي في الرياض، عام ١٤٢٦هـ.

(١٥٠) مشاهد من بريدة ، نشرته دار الثلوثية للنشر والتوزيع عام ١٤٣٠هـ

(١٥١) أخبار مطوع اللسيب ، نشرته دار الثلوثية للنشر والتوزيع عام ١٤٣٠هـ .

(١٥٢) أخبار قني ، نشرته دار الثلوثية للنشر والتوزيع عام ١٤٣٠هـ.

(١٥٣) أخبار الملا بن سيف ، نشرته دار الثلوثية للنشر والتوزيع عام ١٤٣٠هـ .

(١٥٤) هذا ما استوحيته من الناس ، نشرته دار الثلوثية للنشر والتوزيع عام ١٤٣٠هـ

(١٥٥) جهود الملك فهد في خدمة الإسلام والمسلمين ، نشرته دار الثلوثية للنشر والتوزيع عام ١٤٣٠هـ

(١٥٦) العلاقات بين المملكة العربية السعودية وتركيا ، نشرته دار الثلوثية للنشر والتوزيع عام ١٤٣٠هـ

يوم الأربعاء ١٨ رمضان عام ١٣٧١هـ

من بريدة إلى المدينة المنورة:

كنت اتفقت مع اثنين من الإخوان أحدهما الشيخ عبدالله بن سليمان بن حميد قاضي مقاطعة جازان سابقاً والآخر صالح بن إبراهيم بن عبداللطيف الباهلي أصله من شقراء ويقيم الآن في بريدة، بل هو تاجر من تجار بريدة، ولقد كان برنامجنا أن نسافر في حوالي العشرين من الشهر، إن تقدم سفرنا يومين فلا بأس أو تأخر فكذلك، وعندما خرجت اليوم في الصباح إلى السوق كعادتي وجدت صديقي التاجر يبحث عني، فقال لي وأمارات الاهتمام الممزوج بالبشر لائحة على وجهه.

هيا لقد وصلت السيارة التي سوف نسافر معها إلى المدينة المنورة وإنني أبحث عنك وأنوي أن أرسل إليك لو تأخرت قليلاً.

قلت له: ومتى السفر؟

قال: لقد تواعدنا مع صاحب السيارة على أن يكون السفر في مساء اليوم.

وذهبت إلى السوق أعد بعض عدتي وهي قليلة لأن أكثرها كان قد أعِدَّ من قبل، وإنما ذهبت لأقضي بعض النائبات في السوق

ومنها تسديد بعض النقود في السوق، ثم ذهبت إلى البيت حيث أخبرت أهلي بعزمي على السفر إلى المدينة المنورة، وكنت قد أخفيته عنهم قبل ذلك حذراً من أن يطلبوا مني أن أذهب بهم معي أو يظهروا بعض الممانعة في سفري خصوصاً والدتي، وذلك ما سوف يمنعني من السفر لو حصل.

وكان رفيقاي قد فعلا مثل فعلي فكتما خبرهما عن جميع أهلهما، كما اتفقنا قبل ذلك على كتم هذا السفر أو العزم عليه عن كل أحد مخافة أن يتعلق بنا أحد يطلب الذهاب معنا، وذلك يكدر صفونا لأننا لا نريد أن نكون أكثر من ثلاثة متفقين في الميول والأمزجة.

وجعلت انتظر الليل بفارغ الصبر.

أما ما أعددته من المتاع الذي سوف أذهب به فهو يتألف من حقيبة حديد بداخلها جملة من ملابس وبعض الدفاتر والكتب والمعاملات الرسمية للمدرسة التي تحتاج إلى من يرد عليها هناك وبعض النقود.

ويتألف كذلك من سجادة صغيرة وطراحة ورداء خفيف ووسادتين وذلك هو فراش النوم ويتألف كذلك من بعض الخبز البلدي واللحم ونوع من الكعك البلدي المسمى (قرص عقيل) وهذا الكعك يصنع من السكر والبيض والسمن والطحين والحليب الناشف.

أما باقي طعام الفرد وشرابه فقد استعد به رفيقاي.

يوم الخميس ١٩ رمضان عام ١٣٧١هـ:

استودع الله دينك وأمانتك:

ذهبنا البارحة إلى صاحب السيارة وطلبنا منه أن يؤجل السفر إلى فجر اليوم بعد أن حملنا أمتعتنا على السيارة ولم يبق إلاّ أن نركب نحن وذلك لكي ننام هذه الليلة في بيوتنا بدل أن نذهب وننام في البرية، فوافق على ذلك.

وفي فجر اليوم بعد الصلاة بقليل ذهبنا إلى ضاحية الخبيب البلد فوجدنا السيارة في الانتظار ولكنا لم نسافر حتى تعالت الشمس، وذلك لبعض الأمور التي تتعلق بالسيارة.

ولم يجد صاحبها حمولة في بريدة لها كاملة فقرر أن يمر على عنيزة للبحث عن مثل تلك الحمولة فوادعنا بعض من حضر من الإخوان الذين توديعهم عبارة عن ما تيسر من القُبَل مع إزجاء عبارة (أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك) من كل وإلى كل من المودِّع بكسر الدال والمودَّع بفتحها.

في عنيزة:

بعد أن مضى ما يقرب من الساعتين إلاّ ربعاً استغرقها الطريق بالسيارة ما بين بريدة وعنيزة كنا ندخل مدينة عنيزة ورغبنا نحن الاثنين

أنا ورفيقنا التاجر أن نظل بالخارج حتى نسافر، أما أكبرنا سناً وهو القاضي فقد رغب أن نذهب إلى دار صديقه وصديقي قاضي عنيزة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل، ولم نكن لنخالفه فذهبنا إلى قاضي عنيزة الذي تلقانا بالبشر والترحاب وهو الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل، وكان صديقاً لي اجتمعت به منذ خمس سنوات، حينما مر ببريدة وخرجنا في نزهة إلى إحدى ضواحي بريدة، ثم اتصلت به غير مرة، ولظرفه ولباقته وحبه للأدب أصبحنا صديقين إلاَّ أن العهد بيني وبينه كان بعيداً ولكن على رغم ذلك لم ينس كل منا صاحبه.

ولا أزال أذكر أبياتاً وجهها إليَّ منها:

قل للعبودي ان عزمت يا أخي ... فعجِّـل الآن بـــلا تراخـــي
أوبُـتَّ: اذ نحـن علـى جنـاح ... ونـــستعين الله فـــي النجـــاح

وبعد أن استرحنا سألنا فضيلته هل أنتم صائمون؟ فأجبناه بالإيجاب، لاسيما وأن السفر لم يجدَّ بنا لأننا سوف نظل اليوم في عنيزة ونحن لم نلتزم الصيام لأن الشرع يوجبه علينا وإنما لأننا نحن أحببنا ذلك.

ولبثنا كل ذلك اليوم في بيت فضيلته لم نغادره إلاَّ مرة واحدة عندما خرجنا إلى السيارة لنواصل السفر، وبعد أن تحدث كل من فضيلتي القاضيين صاحبنا وقاضي عنيزة طويلاً وماذا

تحدثنا فيه؟

إنه في القضاء والقضاة ومشاكل القضاة وذكريات كل منهما عن القضاء.

بعد ذلك نمنا ثم صلينا الظهر و العصر جمعاً مع آذان العصر وبعد أن مضى قليل من الوقت قطعناه في قراءة القرآن حضر إلى البيت مع فضيلة مضيفنا عالم عنيزة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي صاحب المؤلفات الكثيرة المطبوعة وعالم عنيزة الذي يعظمه أهلها تعظيماً لم أسمع بمثله لعالم من علماء نجد في بلد من بلدانها.

شكرناه شكراً حاراً على تفضله بالحضور إلينا ونحن ننوي أن نذهب إلى بيته لنسلم عليه لأنه شيخ أكبر منا سناً وله حق العلم علينا.

وتحدث معنا قليلاً ولقد لمست منه دماثة أخلاقه إلا أنه تكلم كلمة أو كلمتين في السياسة تبين منها أن السياسة غير الفقه في الدين، كما أن منطقه وتعبيره صورة طبق الأصل من كلامه في مصنفاته تجري على الطريقة القديمة مع مزج شيء قليل على الطريقة الحديثة.

وحدث شيء لم نكن نتوقعه وهو أنه عندما اطمأن به

المجلس خلع شماغه عن رأسه ووضعه بجانبه لأن الحر شديد، و لكننا لم نفعل ذلك بل لم يفعله أحد في المجلس غيره، وقد عجبنا لذلك لأن مشايخنا في بريدة لا يفعلون مثله عند الأجانب أمثالنا، بل إن الظهور بمظهر الجد وعدم رفع الكلفة هو السائد على تصرفاتهم في مثل ذلك.

كانت الكتب في الرفوف المحيطة بمجلس الشيخ عبدالله بن عقيل كثيرة فاستأذنته في الاطلاع عليها فأذن لي فوجدت من بينها دفتراً فيه بعض النكت والطرائف واللطائف والقصائد والقواعد الفقهية ونحوها من المسائل العلمية التي كان صديقي صاحبها يقيدها فيه إذا أعجبته فأبديت إعجابي به، فقال إنني أسمح لك بأن تأخذه معك لكي تنسخ منه ما تريده فشكرته.

ولقد لمحت مجاميع من الجرائد المحلية عرفت منها أن صاحبنا لا يزال كما عهدته محباً للأدب والأخبار وإلاَّ لما خالف القاعدة السائدة في قضاة نجد ألا وهي عدم رغبتهم في الجرائد بل تحذيرهم منها.

ثم أفطرنا لديه، وبعد أن قدم لنا عشاءنا بعد صلاة المغرب وهو يتألف من اللحم والأرز المخلوط بقليل من الزبيب ومن الخضر والمرق وحضر معنا على المائدة ثلاثة آخرون دعاهم هو كما أحضرنا سائق سيارتنا وأحد الرفاق معه.

بعد ذلك ودعناه.

وعدنا إلى السيارة حيث واصلنا السفر وقلنا إننا سوف نصل إلى الرس بعد ثلاث ساعات ونصف ولكن ذلك كان من سبق القدر لقد "غرزت" سيارتنا في الطريق الرملي بعد أن خرجت من عنيزة وغاصت قوائمها الأربع في الرمل، فلبثنا ساعتين كاملتين في إزاحة الرمل من تحتها تارة، وبنقل الحجارة من مكان غير بعيد لوضعها تحتها لعلها أن تمشي عليها تارة أخرى.

ثم بعد أن تخلصنا من الرمل ولم نكد نصدق سرنا فمررنا بالوادي: وادي الرمة وتجاوزناه سائرين حتى أصبحت الساعة تقارب الثامنة ليلاً حسب التوقيت العربي وكنا قد قاربنا الرس.

وأخلدنا إلى الأرض حيث استغرقنا في سبات عميق لم نستيقظ منه إلا قرب طلوع الشمس، ثم صلينا وواصلنا السفر حيث لاح لنا بعد مدة تقرب من ثلث ساعة برج الرس ثم ظهرت لأنظارنا.

بلدة الرس:

قلت إن صاحب السيارة قرر أن يمر بعنيزة لعله أن يجد فيها بعض الحِمَل لسيارته لأنه لم يجد في بريدة الحمولة الكافية

لها ولكنه لم يجد في عنيزة شيئاً أبداً من ذلك فقرر كذلك أن يمر الرس وهي في طريق المدينة، ولم نشأ أن ندخل الرس وفيها لنا صفوة من الأصدقاء والأصحاب، ولكننا نزلنا في حجرة في خارج البلد وأعددنا القهوة والشاي، أما صاحب السيارة فقد ذهب إلى السوق ليبحث عن ذلك فوجده، ولكنه ليس بكثير وقلت لمعاون السائق هذه هي النقود فاذهب فاشتر لنا لحماً وطماطم ولكنه ذهب فلم يجد في البلد شيئاً من ذلك إلا لحم بعير فعجبت لهذه البلدة التي يقول أهلها إن عدد سكانها يقارب ثلاثة آلاف نسمة ولا يوجد فيها شيء من ذلك، ولم آسف إلا لأننا لم نأخذ من بريدة أو عنيزة مثل ذلك، لأننا نأمل أن نأخذه من الرس.

وبعد أن أقمنا في الرس ما يقرب من الساعتين سافرنا نريد أن نقيل في قصر ابن عقيل فوصلنا (أم دباب) وهي إحدى نواحي بلدة قصر ابن عقيل، فأنزلنا أمتعتنا وأعددنا كل شيء نحتاجه للسفر الطويل في الصحراء التي سوف نقدم عليها، إذ أن الطريق من بريدة إلى المدينة يقارب الستمائة كيلومتر لا يمر الإنسان فيه على عامر إلا على الرس، ثم عقلة الصقور، ثم النقرة، ثم عرجاء ثم الحناكية.

ومن حسن حظ سائقنا بل من حسن حظنا نحن أن وجدنا في قصر ابن عقيل تمراً يقارب الستة عشر قنطاراً يراد تحميله

إلى المدينة المنورة، فحمله في سيارتنا فكان مع ما فيها من قبل من الأسباب التي جعلتها تبدوا أكثر هدوءاً في مشيها.

وملأنا القرب الأربع التي نحملها معنا بالماء، وسافرنا على بركة الله من قصر ابن عقيل بعد أن صلينا العصر والظهر جمعاً وقصراً، ولما يبق على غروب الشمس غير ما يقرب من الساعتين.

لم يكن في السيارة إلاّ نحن الرفاق الثلاثة ورجل آخر مع سائقها قد حضر معه من المدينة إلى بريدة ويريد الرجوع إلى المدينة كذلك، ولكن ما لنا وله؟

إنه ليس قريباً منا ولسنا قريبين منه، لأنه راكب بجانب السائق ونحن كلنا راكبون في ظهر السيارة التي هي من سيارات النقل (الوري)، تنقل على ظهرها الناس والبضائع.

وكنا متفقين في كثير من وجهات النظر فخلعنا قناع التكلف وطرحنا العرف الذي يأمر بالتزمت والتزام الثقل باسم الوقار، وجعلنا نتناول الحديث والنكات الطريفة ونروي لبعضنا القصص والحكايات العجيبة، وذلك كله لكي نقطع عنا الطريق.

وسارت السيارة كذلك لا تلوي على شيء لا تسمع غير أزيز محركها يشتد تارة ويضعف تارة أخرى، ونحن نطل عن

أيماننا وعن شمائلنا في السيارة لعلنا نرى شيئاً من الخضرة أو شارة من شارات الحياة ولكننا لم نجد وليس هناك إلا الصحراء القاحلة وأقول القاحلة باعتبار حالها الآن وإلاّ فما أدري لو كان الماء متوفراً في بطنها ولكن لم يجد من يبحث عنه وينقب عن وجوده، ولقد شح المطر في هذه السنة فأصبحت الصحراء وحليتها الوحيدة هي المطر عاطلة من كل حلية متجردة من كل لباس.

لاح لنا جبلاً (أبان) الأحمر والأسود بعدهما جبل واحد وكل ما دنونا منهما جعلا يظهران وكأنهما السحاب الكثيف فوق شفير الأرض أو في أهداب الأفق، ثم ماذا؟

هذه هي السيارة تغذّ السير تقصد ذينك الجبلين وهما يتباعدان ولكن ذلك لا يفت في عضدها، إنها تأخذهما بالصبر والجلد فهي تواصل السير وتطوي البعيد.

وهي بحق- أجدر من الإبل والنوق بأوصاف السرعة، والعدو وطيّ الفيافي والإيغال في السباسب.

ولكن هكذا الإنسان يرى ما يرى وكأنه كل شيء وكأن لا شيء غيره فيخلع عليه أوصاف الكمال ونعوت النهاية فيه حتى يكتشف أو يكشف له غيره فينسى ذلك أو يتناساه إلى حين أو إلى الأبد.

وهكذا جعلنا نسخر من البدو الذين تغدو بهم إبلهم وسط هذه السباسب المترامية مسرعة تارة وما يشبه الهويناء تارة أخرى، ولكن ما لنا قد قسوتنا في حكمنا عليهم؟

إن البدوي كالقروي لا قيمة للوقت عنده فهو يسمي الشهر شهراً وحقيق بنا أن نسمي ذلك الشهر من شهور البدوي سنة من سنينا فلا غرو إذا ما أعجبت البدوي سرعة ناقته وتغنى فخوراً بطيها السباسب والقفار لأنه لم يعرف غيرها أسرع منها.

بين أبانين:

عندما لاح لنا أبان من بعيد تذكرت قول امرؤ القيس:

كأن "أبانا" في عرانين وبله كبير أناس في بحاد مزمل

والبجاد: الرداء، و المزمل: الملتحف.

فعجبت من ذلك وقلت إنه كأنه هو بالضبط، ولكن عندما وصلنا ما بين أبانين أي أول ما بينهما الذي ينساب فيه وادي الرمة إذا من الله تعالى بالقطر، وجادت السماء الأرضَ عند ذلك ظهر لنا أبانان وقد تباعد ما بينهما واسودت جنباتهما ولا ندري أهي تنذر بالخير أم تنذر بالشر، ولم نر هناك شيئاً من علامات الحياة أو حياً من الأحياء.

صلينا المغرب والعشاء جمع تقديم ثم تفرقنا ما يقرب من الثلاث دقائق فجلت ببصري هنا وهناك باحثاً عن شيء متحرك فلم أجد غير السكون فتصورت نفسي وحيداً هنا كما يكون الأعرابي في بعض الأحيان وحيداً مدة من الزمان فنفرت نفسي من تصور تلك الحالة من الحياة بدون ماء أو شجر أو كثب.. أو أو أو بالاختصار بدون حياة.

ثم رجعنا إلى أوكارنا في ظهر السيارة وقد اسود الأفق فلم نعد نرى مما حولنا سوى ما يظهره نور السيارة فازدادت الصحراء وحشة على وحشتها، وجعلنا نتسامر مقلدين البدو في سمرهم في أخبار الصحراء ولكن هيهات الفرق بيننا وبينهم، إنهم يتسامرون في الصحراء حقيقة على صفحة الأرض، أما نحن نتسامر في جوف السيارة ولا يزيد من سرورنا كون السيارة تواصل بنا الابتعاد عن الصحراء.

وعلى تلك الوتيرة مضى أول الليل، وفي تمام الساعة الخامسة ليلاً حسب التوقيت الغروبي رأينا مجموعة من القصور المتهدمة تقرر في أذهاننا أنها (عقلة الصقور وليس ذلك عن معرفة منا بها ولكن لأنه لا يوجد في تلك الناحية غيرها من العمران أو من آثار العمران، فهي كذلك تبدو كما قيل لنا عنها مهدمة قد هجرها ساكنوها وهم شرذمة من البدو الذين اتخذوها "هجرة" لهم بعد أن قرروا الهجرة إلى الحضر وترك البادية تديناً أو هكذا يظهرون، ولكن

يظهر أن التدين والهجرة لم يعجباهم فعادوا أو عاد بعضهم مرة ثانية إلى البادية.

وتجاوزنا "عقلة الصقور" ولم نقف بها وتذكرنا ما قيل لنا قبل ذلك أن بين قصر ابن عقيل وبين عقلة الصقور تلك الرفعة من الأرض التي قطعناها في سبع ساعات تخللتها وقفة واحدة لشرب الشاي وللصلاة أن بينهما مهمها تتقطع دونه رقاب الإبل وإن الناس يخافون حتى يجاوزوه لأنه (مظماة) أي محل ظمأ.

وزاد النجاح في قطع تلك المهمهة في تلك المدة القصيرة زاد السيارة والسائق إغراءً بالسير والنجاح مغر في الزيادة كما يقولون وقد أصبحت صفحة الأرض مستوية لا نشز يعتريها ولا هبوط، فاشتد مسيرها وانتظم أزيزها وإننا لنطرب له وكأنه الموسيقى تشنفان أذاننا بأعذب الألحان ذلك لأن كل دورة من دورات عجلات السيارة تقربنا من هدفنا.

وحينما لم يبق على طلوع الفجر غير ساعة ونصف نفد البنزين من خزان السيارة فوقفت وقال السائق لمعاونه:

هيا انزل، وزود السيارة بالبنزين وقصد هو الأرض فسقط وكأنه المغشي عليه من السهر والتعب وزودت السيارة بالبنزين من (برميل) فيها، وعاد المعاون إلى السيارة يلفت نظره إلى ذلك، ولكن أنى له به فقد استغرق في سبات عميق أبى أن يقوم منه فنمنا في جوف السيارة نحن أيضاً.

يوم السبت ٢١ رمضان عام ١٣٧١هـ:

أصبحنا ولا ندري فيما أصبحنا من الأرض لا نعرف أين نحن الآن، ولكن الذي نعرفه أننا قد جاوزنا عقلة الصقور منذ مدة وسألنا السائق عندما قام من نومه مع طلوع الشمس عن مكاننا فلم يعرفه.

وسارت السيارة في هذا الجو الجميل ونسمات الصباح تجلل الجو ونحن نسكت حيناً ونتحدث حيناً آخر، أما السيارة فهي تواصل السير.

وبعد مدة غير طويلة كنا نتطلع نبحث عن (النقرة) التي قيل لنا إنها تلي عقلة الصقور وجدناها: إنها مجموعة قُلب- جمع قليب- متفرقة وليست بالكثيرة، ولكننا لم نقف عندها وولياها ظهورنا ثم سرنا وكانت الأرض صالحة تمام الصلاحية لسير السيارة السريع عليها فقطعت أشواطاً طوالاً ثم بدأت الأرض تتغير بدأت تظهر أكمات وقيعان تتخللها أي الأكمات مراع قد جللت بالعشب الذي يغالب الموت والموت يريد أن ينزع منه الحياة.

ولم نر مثل ذلك الربيع في جميع طريقنا، وحينما رأيناه استبشرنا بذلك لأه قد ذكر لنا أنه بعيد جداً، وإنه من علامة أننا قد قطعنا من الطريق كثيراً قبل أن نصله.

ودامت تلك المناظر: أكمات صخرية تجللها في بعض الأحيان حجارة سوداء وتتخللها مراع ذات عشب كثير.

ثم وصلنا بدون أن نتوقع (عرجاء) وهي الماء الأخير في الطريق قبل قرية الحناكية ومن بعد ما جاوزناها ظهر لنا ما يشبه الحرار والأراضي الصخرية التي لم يمنعها ذلك من أن تكون خصبة ذات مراع جيدة.

وفي تمام الساعة الرابعة نهاراً بالتوقيت العربي وصلنا:

الحناكية:

وبدا لنا منها أول ما بدا ذلك "الدوم" الكثير الذي يشبه النخل على البعد شبهاً كبيراً وقد ملأ الوادي العظيم الذي تقع فيه الحناكية.

وصلنا الحناكية فتنفسنا الصعداء وجعلنا نحمد الله ونشكره ونتذاكر حالنا قبل ذلك، لقد كانت سفرتنا تلك مغامرة من المغامرات، ولكننا لم نقم بها نحن وإنما قام بها سائق السيارة وصاحبها ذلك لأن السيارة قديمة وذات عجلات بالية قد أكلت عليها الأرض وشربت، وفوق ذلك فليست معنا أي عجلة أخرى كالاحتياط للعجلات الموجودة كما يفعل أصحاب السيارات الأخرى، فلو قدر أن تنفقع إحدى تلك العجلات لما استطعنا أن

نتحرك أبداً ولابد من أن نصبر حتى تمر سيارة مسافرة مع الطريق وما أقلها وما أقل مرورها منه، ثم يذهب السائق أو غيره ليحضر من بريدة أو من المدينة عجلة جديدة، ولكن ماذا يحضر عليه ومتى؟

كنا نتساءل مثل ذلك التساؤل قبل أن نصل إلى الحناكية التي لا تبعد عن المدينة بأكثر من ثلاث ساعات ونصف لمثل سيارتنا ولكن لا نجرو على أن نصرح به لبعضنا لأن تصوره في مثل وقتنا هذا مما يبعث الرعب في النفس، وماذا تكون حالة من يتعطلون في الصحراء في حُمَّارة القيظ في طريق لا ماء فيها ولا مرعى ولا سالك إلا قليل؟

وصلنا الحناكية وكان أول ما اتحفتنا به أن انتصبت منها أعمدة هائلة من الأعاصير الهائجة يتلو بعضها بعضاً، ولم تقف منذ أن نزلنا وحتى ارتحلنا منها وقد كدرت علينا مقيلنا بعد أن كنا نظن أننا سوف نرتاح إذْ نزلنا تحت عدة من شجر الدوم المتلاصقة.

فصلينا الظهر والعصر جمعاً وعدنا إلى الركوب وسارت السيارة سيراً حثيثاً لا تلوي على شيء، وقد ركب معنا من الحناكية أحد أهلها فجعلنا نسأله عما نقطعه وما سوف نقطعه من تلك الأرض، ونسأله عن الحناكية؟ فذكر لنا فيها أن أسباب

العمران الزراعي الرئيسية متوفرة في الحناكية ولكنها لم توفق إليه حتى الآن فالماء الكثير والتربة الصالحة كل ذلك- فيما يقول صاحب الحناكية- متوفر فيها.

ثم مررنا بالصويدرة وكنت قد سمعت أن على حجارتها توجد كتابات كثيرة قديمة، وقد أيد ذلك صاحبنا إلاَّ أنه قال: إننا نمر على بعضها وسوف نلاحظه على الرغم من أن السيارة تمر بسرعة عليه.

ورأيت بعض تلك الكتابات من بعيد أو على الأصح تلك النقوش فأكثر ما رأيته يشبه أن يكون نقوشاً أو يشبه الوسم على الدواب والجزء الكبير بل الأكبر والأهم فيما يقول صاحبنا أيضاً- لم أره لأنه في الجانب الآخر للوادي.

"ما شاء الله!":

بعد أن مضى على تحرك السيارة بنا من الحناكية ما يقرب لثلاث ساعات وقبل غروب الشمس بعشر دقائق تقريباً قال صاحبنا هذا الذي ركب معنا من الحناكية: ما شا ءالله هذه هي المدينة!!

وغشيتني قشعريرة وتمثلت في خاطري الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ينقل الخطا الكريمة بين تلك الجبال وفي تلك البقاع وقمت لأرى ذلك ولكنه بعيد جداً لا أكاد أتبينه لاسيما

والظلام يكاد ينتشر وتركت مكاني في السيارة متقرباً في مكان غيره يطل على المدينة المنورة أو على الأصح يطل على جبال المدينة فأنا لا أري غير تلك الجبال أما صاحبنا ذلك فهو يؤكد أنه لو كان الوقت نهاراً لرايت منارات الحرم النبوي الشريف.

وسرنا في الطريق الغير ممهد حتى وصلنا باب المدينة المنورة بعد غروب الشمس بأربعين دقيقة تقريباً، وقفنا خارج الباب وهو الباب الشامي ونزل السائق لكي يعرض أوراق سيارته وأسماء الركاب فيها على مأمور الشرطة هناك، ومأمور الجمرك، ولكنه لم يجد مأمور الشرطة وقال له الشرطي الواقف بالباب إنه ذهب ليفطر ولن يعود إلا قرب آذان العشاء الآخرة فكان علينا إذاً أن نظل في مكاننا واقفين حتى يعود الضابط المحترم من فطوره وعشائه.

البحث عن بيت:

كان الشيخ عبدالله بن سليمان بن حميد رفيقنا في السفر قد أبرق إلى صديق له في المدينة المنورة اسمه (محمد زين مصطفى الشنقيطي) أن يعد لنا مسكناً، وذلك في أمس الأول، وعندما وقفت السيارة ذهب فضيلة الشيخ ليبحث عن صاحبه لعله يجده قد استأجر لنا بيتاً.

أما أنا فجعلت أتساءل في نفسي وأنا لا أكاد أصدق الإجابة الصحيحة عليها: هل أنا حقاً في المدينة المنورة؟ أهذه هي مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم؟

هناك ليس بعيداً بل قريباً جداً يرقد أشرف بني آدم محمد بن عبدالله الطاهر الأمين صلى الله عليه وسلم.

ورأيت الناس يمرون داخلين وخارجين وهم ليسوا بالكثير، وقد عللت ذلك بكون الوقت وقت إفطار، إنهم يمرون ويدخلون وإنني لأعجب من سكينتهم وهدونهم بالنسبة لما رأيته في مكان آخر قبل ذلك.

وبعد قليل سوف أصل إلى المسجد النبوي الشريف وأصلي فيه وسوف أسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه، وفوق ذلك سوف أقيم في المدية المنورة بضعة أيام أستمتع بالعيش فيها، حيث كان يعيش محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم منذ ألف وثلثمائة سنة ونيف.

إنني لتجتاحني مشاعر هي مزيج من الشعور بالهيبة والجلال والخشوع والفرح، مما يجعل تلك الساعة من الساعات المعدودة التي لا تنسى.

كأني بأبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو يمشي مع

النبي صلى الله عليه وسلم في هذه البقاع الطاهرة بأبي هو وأمي ونفسي صلى الله عليه وسلم.

ثم حضر مأمور الجمرك، وصعد سيارة النقل التي وصلنا معها وجعل يبحث في وسطها في الأمتعة المتفرقة، ثم أمر بإحضارنا لنفتح حقائبنا بغية تفتيشها فصعد إلى السيارة وفتحت حقيبتي وأنا أقول له: إن هذا غير لائق وغير معقول.

هل حضرنا من العراق؟ أو من شرقي الأردن؟ أو من أي بلد آخر حتى تضطر إلى فتح حقائبنا؟

إننا حضرنا من جزء من المملكة إلى جزء آخر وليس في المملكة كلها من يفعل مثل ذلك فاضطر حضرة المأمور أن يعتذر اعتذاراً كثيراً وقال: أوافقك يا سيدي أننا نحن الوحيدون في المملكة نفعل مثل هذا الفعل وإنه فعل غير لائق وغير معقول وغير مفيد، لأنكم تركتم البيوت وراءكم قبل دخول المدينة وبإمكانكم أن تخفوا كل ما معكم بسهولة لو كان معكم ما يحذر منه، بل بإمكانكم أن تخفوا بسهولة أيضاً أنفسكم ولكن ماذا نفعل وهذه هي الأوامر؟

ثم دخلنا المدينة المنورة من ذلك الباب الباب الشامي مع أنه توجد خارجه بيوت تسمى (العطن).

تسحرنا وحاولنا بعد ذلك أن نجلس ولكن أنى لنا ذلك إننا بعد سفر مرهق وإن ليلتنا الماضية قد انقضت في المشي والتعب ولذلك نمنا ونحن قاعدون.

وهكذا مضت الليلة الأولى لنا في المدينة المنورة وكنا معشر الرفاق الثلاثة لم نزر المدينة المنورة قبل ذلك.

يوم الأحد ٢٢ رمضان ١٣٧١هـ ١٥ يونيو عام ١٩٥٢م:

صحونا من النوم بعد أن فات وقت صلاة الفجر جماعة فصلينا جماعة في مسجد قريب ثم عاودنا النوم مرة ثانية.

أقول: صحوت من النوم وإذا برفيقنا الشيخ محمد زين حاضر فأخذ بأيدينا حيث قادنا إلى المسجد النبوي الشريف فدخلناه ثم سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه أبي بكر وعمر، ثم تجول بنا في سائر أنحاء المسجد، وقد صلينا في الروضة النبوية الشريفة في المكان الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة".

ولقد غشيني خشوع عظيم وتمثلت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في هذا الموضع الطاهر وتمثلته في قبره الكريم ليس بعيداً عني وأنا أقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، تذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم: "صلوا علي فإن تسليمكم يبلغني حيث كنتم" وقوله: "ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء"، ولكنني مع ذلك لا أستطيع أن أكبح جماح شعوري بالغبطة على قرب الرسول والسلام عليه في مسجده.

كان ذهابنا إلى المسجد النبوي قبل أذان الظهر بما يقرب من الساعتين وقد قضينا تلك المدة في تلاوة القرآن الكريم.

المسجد النبوي:

لم أكن أتصور قبل أن أرى المسجد أنه بهذا الشكل العجيب من الزخرف والزينة والتأنق لأنني قد رأيت المسجد الحرام وهو أقل منه تزييناً وتزويقاً، وليس ذلك أي كوني لم أتصور كونه كذلك لأنه باهظ التكاليف، أو ما أشبه ذلك، ولكن لانه غير ممكن لأنني لم أرَ في حياتي كلها بيتاً أو بناءً بهذا الشكل.

حقيقة إن المسجد غير كبير بالنسبة إلى أنه يستقبل ألوف الزوار كل عام، ولكنه كبير وغير صغير بالنسبة إلى سكان المدينة المنورة، ولكن الذي لفت نظري في هذا المسجد أكثر من غيره هو الفرق بينه و بين المسجد الحرم من ناحية المصلين، فبينما لا ترى في الثاني من أهل مكة المواطنين فيها أكثرية تجد هذا المسجد النبوي زاخراً ليس بالأجانب فقط ولكن بالأهالي المواطنين أيضاً.

كما أن الداخل إلى المسجد النبوي يشعر بطمأنينة وسكينة وراحة نفس لا يشعر بها في أي مكان آخر.

السلام على المشايخ:

بعد أن صلينا صلاة الظهر لاح لنا رئيس محكمة المدينة المنورة الشيخ عبدالله ابن زاحم وكذلكم من أعضاء المحكمة الشيخ محمد الخيال والشيخ عبدالعزيز بن صالح إمام المسجد

الحرام فسلمنا عليهم ووعدنا حضرة الرئيس لتناول القهوة والشاي في بيته مساء غد، فصلينا ثم عدنا إلى بيتنا حيث قضينا فترة ما بين الظهرين في النوم، وبعد العصر في المسجد النبوي ثم لبثنا فيه حتى آذان المغرب فأفطرنا فيه.

وبعد صلاة المغرب عدنا إلى البيت وتناولنا العشاء ثم عدنا إلى المسجد حيث صلينا العشاء الآخرة والتراويح ثم ذهبنا إلى أحد التجار من أهل بريدة الذي وصل حديثاً إلى المدينة المنورة ودعانا إلى بيته وهو الأخ إبراهيم بن عبدالله العجلان، ثم رجعنا إلى المسجد حيث واصلنا القيام خلف الإمام والصلاة لمدة تقرب من الساعتين بل تزيد قليلاً ومن هناك رجعنا إلى البيت فتسحرنا وهكذا انقضى هذا اليوم بليلته.

يوم الاثنين ٢٣ رمضان ١٣٧١هـ ١٦ يونيو ١٩٥٢م:

لقد انقضى يومنا كالآتي: النوم من صلاة الصبح حتى قبل آذان الظهر بساعتين ثم الذهاب إلى المسجد حتى صلاة الظهر ثم العودة إلى النوم حتى آذان صلاة العصر ثم العودة إلى المسجد حتى الفطور ثم العودة إلى البيت حتى قبل آذان العشاء بنصف ساعة ثم العودة إلى المسجد حتى بعد صلاة التراويح بعد صلاة العشاء الآخرة ثم الذهاب لتلبية دعوة فضيلة رئيس محكمة المدينة المنورة الشيخ عبدالله بن زاحم وقد صادف أنه حضر في هذه الدعوة المعلم محمد بن لادن رئيس دائرة العمران في المملكة

والدكتور الشواف مدير صحة منطقة المدينة، كما حضر مدير الأوقاف في المدينة المنورة وآخر وجيه غيرهم لا أعرف اسمه.

وقد جاءوا إلى الشيخ يستشيرونه ببعض الشئون التي تتعلق بعمارة المسجد الشريف التي يجري الآن العمل فيها بعد هدم هدم جزء منه وهدم عدد من البيوت حوله لتوسعته بها.

ولقد أعجبت بالقاضي عبدالله بن زاحم، وعضو المحكمة وبإمام المسجد النبوي الشيخ عبدالعزيز بن صالح، وحمدت الله تعالى على وجود أمثالهما في بلادنا وعرفت أن جماعتنا عندما يجدون المكان الملائم لإظهار مواهبهم فإنهم يبرزون وتظهر مقدرتهم وكفاءتهم.

يوم الثلاثاء ٢٤ ١٣٧١هـ ١٧ يونيو ١٩٥٢م:

رغم كون برنامجنا يتلخص بما أسلفت وأننا لا نتجول كثيراً في المدينة الآن بسبب الصيام في الحر، فإنني ألاحظ أشياء على أهل المدينة في المسجد النبوي وفي الطريق من البيت إلى المسجد فقد لاحظت أن النظافة منتشرة بين الناس وتمنيت لبلدتي بريدة لو كانت كذلك.

وبهرني كيف أن الطفل يكون سعيداً إذا ما اعتني بنظافته بجسمه وثيابه والبنيات الصغيرات فهن جميلات نظيفات يرفلن

في ثياب من النظافة بحيث تفوق نظافة ثياب الكبيرات وما ذلك إلا بسبب اعتناء أمهاتهن بهن.

لقد كان يبدو الجميع في المدينة من البنيات التي لم يضربن على وجوههن الحجاب بعد أي اللاتي لم يبلغن الثانية عشرة، بل يظهر لي أن جميع أهل المدينة يتمتعون بقسط وافر من الجمال، وذلك لأنني لم أعتد أن أرى البنت الصغيرة يعتنى بها وبنظافتها إلى هذا الحد إلاَّ أنني عندما كررت النظر وجدت أن هذا غير صحيح وأن الفضل في ذلك الأمر يرجع إلى النظافة والاعتناء بتفصيل الثياب وخياطتها وتصفيف الشعر.

ليس هناك من و قت لنا نلبي فيه الدعوات غير وقت ما بين صلاة التراويح وصلاة القيام (قيام الليل) وهو وقت يقارب ساعة ولذلك خصصناه لتلبية دعوات القهوة والشاي، وصاحبنا الذي دعانا هذه الليلة هو رئيس كتاب المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة الأستاذ عبدالرحمن بن سليمان الحصين.

يوم الأربعاء ٢٥ رمضان عام ١٣٧١هـ ١٨ يونيو ١٩٥٢م:

كان داعينا إلى القهوة هذه الليلة هو فضيلة عضو المحكمة الشرعية وإمام المسجد النبوي الشيخ عبدالعزيز بن صالح وهو من أهل المجمعة يجيد قراءة القرآن قراءة تجلب الخشوع وتحمل على الإنصات، ولقد كنت أظن من قبل كما كان يظن غيري أنه لا يوجد في قومنا من يجيد أن يقرأ كقراءته، ولكن الواقع أثبت خلاف ذلك، أثبته في وجود الشيخ عبدالعزيز بن صالح ومع ذلك فهو قد حفظ القرآن جميعه عن ظهر قلب، وله اطلاع واسع على الكتب القديمة والكتب العصرية.

النظافة والجمال:

إن النظافة لتأسرني بالإعجاب ولكن النظافة إذا ما صاحبت جمالاً طبيعياً فذلك يهز شعوري وهذا ما لمسته في بعض ما أراه في المدينة وهو ما أتمناه في بريدة، أتمناه لعامة مواطنيَّ لأنه من مباهج الحياة.

فالجمال يلفت نظري على أنني لا أحب كثيراً أن يكون ذلك ولكن نفسي لا تستطيع تلبية ما أحب وأنا حينما يلفت نظري لا أفعل شيئاً ولا أستجيب له، ولكنه على رغم من ذلك يلفت نظري ويجعلني أشعر كأن بيني وبينه الألفة والمحبة وإن كان ليس هناك شيء من ذلك يما يسميه الناس كذلك.

يوم الجمعة ٢٧ رمضان عام ١٣٧١هـ ٢٠ يونيو عام ١٩٥٢م:

هذا ما أريده:

فقد ظهر لي من مقابلتي لمن قابلت من المشايخ هنا وطلبة العلم أنهم هم الصنف من الناس الذين أريدهم وأفضلهم، وذلك لأنهم أناس لم يلههم طلب العلم ولم تمنعهم تسميهم به من أن يلبوا بعض مطالب الحياة الراقية التي قد جاء الدين نفسه بها أو ببعضها كما اقتضتها سنة الحياة.

فطلبة العلم ورجاله والمنتمون غيرهم في نجد، وفي بعض بلدان المملكة لا يتخيرون الثياب الجميلة النظيفة، بل إنهم ليهجرونها ويذمون من يعتني بها ويعدونه ممن لم يمنعه دينه من إتباع شهواته ولذاته، بل إن تلك الثياب النظيفة الجميلة الراقية أصبحت شعاراً لغير رجال الدين، أما هم هنا في المدينة- فهم قد استمتعوا بها من كل وجه.

وهنا في المدينة المنورة فهم يستمعون إلى الراديو.

والصنف من الناس الذين يعرفون أمور الدنيا كما يعرفون الآخرة ويعلمون من الدنيا كما يعلم من الدين يكون قادراً على إرشاد الناس وهدايتهم من طريق الدعوة إلى الدين بواسطة الدنيا ومن طريق الحث على الحياة الدينية التي لا تنافي الحياة الدنيوية،

لأن المسلمين لم يذلوا ولم ينحطوا إلاَّ حين أسلموا قيادهم لأناس جهلوا الدنيا حتى نبهتهم من نومهم غارات الآخرين فرجعوا إلى ما عرفوه من ذلك الصنف من العلماء الذي سلموا القيادة لرجاله فلم يجدوا عنده الدرع الواقي من ضربات المغيرين والمداهمين فلم يفطنوا إلى أن ذلك ليس هو الدين الصحيح الذي جاء به محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، فاتهموا الدين وراحوا يبحثون عن العزة والقوة والكرامة في غير الدين وهم لن يجدوا ذلك إلاَّ في الدين الصحيح فضاعوا وتاهوا

وما ذكرته من قبل هو ما أريده ووجدته أو بعضه فيما ظهر لي من حالة من قابلتهم من العلماء وطلبة العلم في المدينة المنورة.

يوم السبت ٢٨ رمضان عام ١٣٧١هـ ٢١ يونيو عام ١٩٥٢م:

منذ أن وطأت قدمي المدينة المنورة وأنا أحس بالطمأنينة فيها والأنس بأهلها والراحة بين ربوعها حتى إن نسيمها يهب عليَّ وكأنه يحمل معه أنفاساً لها وأنفاساً لأقربائي.

فأنا لم أدخل بلداً أو مكاناً غير بلدي فاشعر بذلك كما شعرت به في المدينة المنورة ولا أدري لم ذلك؟

وأخلاق أهل المدينة سهلة لينة وألسنتهم عفيفة لا تسمع السب والشتم فيها ولا الملاحاة كما تسمعه في غيرها.

والأغرب من ذلك أن كثيراً من أهلها حتى الشبان الصغار فيهم يواظبون على الحضور إلى المسجد جماعة، وليس في الأوقات المفروضة فحسب، بل وفي غير ذلك من الأوقات التي يتنفل فيها ولو احتجت إلى أحد منهم أو كلمته لوجدت فيه لين الجانب ورخامة اللسان وانتقاء الكلمات المهذبة.

خداع المظهر:

بعد صلاة الظهر في الحرم ذهبت أتجول وحدي ي الحرم فتجولت في أكثر أنحائه ولكن خدم الحرم وهم السود المسمون بالطواويش أو الأغوات قاموا لي وصافحوني وابتسموا، وكذلك فعل معهم شرطة الحرم وسلم عليَّ جماعة من المصلين وأظهر احترامي كذلك جماعة آخرون.

والجميع فعلوا ذلك مدفوعين بمظهري الخداع الذي ظنوا منه أنني شيخ من المشايخ الكبار أو قاضياً من القضاة.

يوم الأحد ٢٩ رمضان عام ١٣٧١هـ يونيو عام ١٩٥٢م:

بعد أن صليت الفجر في المسجد أنا وصديقي الشيخ محمد زين خرجنا من الباب المجيدي وتمشينا فيما حوله تمشية خفيفة رأينا فيها العمال الذين يعملون في إعداد العدة لعمارة الزيادة في المسجد، ورأينا جموعاً غفيرة من الشبان يتضاحكون ويتجولون وقال لي صديقي: إنهم لم يخرجوا إلاَّ لأنهم يظنون هذا اليوم هو الذي قبل يوم العيد.

الاستعداد ليوم العيد:

ليس يقيناً أن غداً هو يوم العيد لأن اليوم هو يوم ٢٩ رمضان، ولكن الناس قد استعدوا فعلاً للعيد لأنهم غلب على تحريهم أنه سيكون غداً.

ويتجلى استعداد أهل المدينة للعيد بكثرة الحلوى المعروضة في الحوانيت ومناداة الباعة عليها وكثرة شراء الناس منها، وكذلك يجد صانعو الأحذية وبائعوها ذلك فيما قيل لنا لأنه لابد من أن يلبس كل شخص في المدينة يريد أن يتعيد حذاءً جديداً سواء أكان رجلاً أم امرأة صغيراً أم كبيراً.

وقد أخذنا عدتنا نحن للعيد أيضاً فقد اشترينا قليلاً من الفاكهة وقليلاً من اللحم لأن الحوانيت تغلق في يوم العيد، فلا يجد الإنسان مطلوبه فيها.

غداً العيد:

بعد أن فرغت التراويح في المسجد النبوي ورجعنا إلى البيت لكي نقضي فيه الفترة بينها وبين صلاة القيام وفي الساعة الرابعة والنصف تقريباً حسب التوقيت الغروبي انطلقت قذيفة المدفع الأولى معلنة في البلد أن غداً هو يوم العيد واستمر يطلق حتى أطلق ما يقرب من عشرين طلقة وأظنها إحدى وعشرين طلقة بالضبط.

يوم الاثنين ١ شوال ١٣٧١هـ ٢٣ يونيو عام ١٩٥٢م:

اليوم العيد:

قال لنا صاحبنا: إن المسجد النبوي يزدحم بالمصلين مبكراً وإن أولى لنا إذا ما أردنا أن نتمكن من الصلاة في محل قريب من الإمام أن ندخل لصلاة الفجر ثم لا نخرج إلاَّ بعد صلاة العيد.

وهكذا قرر الرفاق ما عداي أنا فقد قررت الخروج بعد صلاة الفجر لبعض شأني ثم الرجوع سريعاً إلى المسجد، وعندما أذن الفجر أقبل السكان إلى المسجد فازدحمت الشوارع من حوله بالقادمين من النساء والرجال والأطفال المتزينين والجميع يهرعون إلى المسجد وانقضت الصلاة وما زال سيلهم الجارف يتدفق، فهالني كثرة المبكرين إلى الصلاة فعدت سريعاً إلى المسجد والناس ما زالوا يقدمون ولن أنسى منظر الأطفال من صبيان وبنات وقد لبسوا كامل زينتهم يفدون مع ذويهم إلى المسجد.

وقدم أمير المدينة وقد اصطفت فرقة موسيقية من الجنود عند باب المسجد لتحيته.

الخطبة:

وبعد طلوع الشمس بنحو ربع ساعة صلينا العيد، وكان الإمام والخطيب هو الشيخ عبدالعزيز بن صالح إمام المسجد النبوي فخطب خطبة العيد وهي خطبة مؤثرة قد اكتسبت كثيراً

من تأثيرها بواسطته لأنه خطيب يعرف كيف يخطب فكان قوله: "الله أكبر" وهي جملة لا غرابة فيها يسمعها الإنسان عشرات المرات كل يوم- يهز الشعور هزاً، ويؤثر على النفس تأثيراً كبيراً حتى إن بعض الحاضرين بكوا من خطبته، وإنني أذكر بهذه المناسبة كيف أن المسجد النبوي ضج بالبكاء والنحيب عند ختمه للقرآن في مساء الثامن والعشرين من شهر رمضان في التراويح.

العرض العسكري:

وانقضت الصلاة فخرجت جموع الناس ولا أدري إلى أين يذهبون وقد سألت هل هم يقدمون طعاماً في الشوارع كما نفعل نحن- يأكلونه بعد رجوعهم من المسجد مباشرة- فقيل لي: إنهم لا يفعلون ذلك.

وكان في المدينة مواطن من أهل بريدة هو إبراهيم العبدالله العجلان، وكان رجلاً فاضلاً كريماً أبى عليه كرمه إلاَّ أن يتعلق بنا أمس ولا يدعنا حتى نعده بأن نزوره في بيته بعد صلاة العيد مباشرة وأن يحضر ليدلنا على بيته.

وخرجنا من المسجد نحن وهو معاً إلى بيته ومررنا بقصر الإمارة وإذا بأمراء القرى وجماعة من الكبراء يقفون في جهة منه وجموع الناس تقف في الجهة المقابلة وإذا بالموسيقى العسكرية تصدح وتدمدم فوقفنا مع من وقف نتفرج، وكانت هناك قوة من الجيش وقوة من الشرطة ومع كل منهما فرقته الموسيقية

تتقدمهم الأعلام السعودية ومعها حركات عسكرية بسيطة.

مرَّ الفريقان تتقدم كل منهما فرقته الموسيقية وقد شهر سلاحه في طوابير منظمة مرَّ أمام الأمير والحاضرين ثم عاد مرة ثانية وانتهى العرض.

والواقع أنه عرض شيق جعله كذلك خبرة الضباط وتمرنهم.

ودخلنا بيت داعينا وكله بطريقة تدل على الذوق وحب التنظيم ويزين جانباً من البيت جهاز الراديو ومروحة كهربائية، لقد عجبت من ذلك لأن صاحبنا هذا كان رجلاً ديناً صالحاً ومن صفات مثله في منطقتنا يعادي من يمر اسم الراديو والمروحة على لسانه.

وليس ذلك من صاحبنا فحسب هو الذي أعجبني ولكن الذي أعجبني أكثر منه أن أجده ملماً بالسياسة متتبعاً لمجرياتها.

لبثنا عنده مدة طويلة لعلها تقارب الساعة والنصف قطعناها في الاستماع إلى الأخبار من جهاز الراديو وفي الاستماع إلى أحاديث من صاحب لداعينا يدعى ناصر بن مسفر إمام الأمير في ينبع.

لدى القضاة:

ومن عند صاحبنا خرجنا حيث قصدنا دور القضاة رئيس

المحكمة وزملائه أعضاء المحكمة للسلام عليهم وتهنئتهم بالعيد وقد أظهر لنا رئيس المحكمة الشيخ عبدالله بن زاحم البرقية الواردة له من جلالة الملك المعظم عبدالعزيز آل سعود بثبوت انتهاء شهر الصوم وحلول العيد اليوم.

وقال: إنه ليس فيها في أي مكان ثبتت رؤية الهلال ولكن مدير اللاسلكي أخبره أنه ثبت فيما يقرب من ستة مواضع من بينها بريدة.

ولم نخرج من فضيلته حتى أخذ منا موعداً بما سبق أن طلب منا فأحلناه إلى ما بعد خروج شهر رمضان وهو تناول الطعام عنده في داره فأجبناه إلى ذلك وكان الموعد هو بعد صلاة الظهر من الغد مباشرة.

وسأله رفيقنا في السفر الشيخ عبدالله بن سليمان بن حميد عن الحجرة النبوية هل تفتح في بعض الأحيان وهو بسؤاله ذلك يطمع في أن تكون تفتح حتى يطلب من فضيلته أن يسعى في فتحها لنا فأجابه فضيلته بأنها لا تفتح إلا للملوك، وبأنها حتى لو فتحت فإن داخلها لا يتمكن من أن يرى القبور لأنها مستورة بقية صغيرة مستورة بقماش وما عدا تلك القبة من الداخل فهو خلاء يظلله سطح القبة الخضراء.

وسألناه عن قباء هل بعيد أم قريب وأخبرناه أن من

برنامجنا أن نزوره فأجاب بأنه بعيد ولكن متى تحبون أن أرسل لكم السيارة لنقلكم إليه حتى تزوروه أخبروني وأنا أرسل لكم سيارتي الخاصة، فشكرناه على ذلك وقلنا غداً مع طلوع الشمس وودعنا فضيلته شاكرين.

من العائدين الفايزين:

وأهل المدينة حينما يلقى بعضهم بعضاً فإنهم يدعون لهم ويحيونهم كما يفعل أهالي نجد تقريباً وذلك بأنهم يزجون إليهم عبارة (من العائدين الفائزين) إلاَّ أن هناك كلمة واحدة في نجد تضاف إلى هذه الكلمة ولم أسمعها تقال في المدينة هي كلمة (عيدك مبارك) أو (أيامك سعيدة).

وبعد أن صلينا العصر خرجنا مع صاحبنا ذلك من المدينة من الباب الشامي حيث صعدنا أدنى جبل في الجهة الشمالية من المدينة قال إنه اسمه (سلع) وأننا في جزء منه فرأينا منه أغلب المدينة بيوتها وبساتينها ورأينا الأطفال وحتى الكبار منتشرين ذاهبين وآيبين في شوارع المدينة المنورة من الباب الشامي وأشار صاحبنا إلى بعض الجهات التي ورد ذكرها في الآثار منها ديار بني سلمة وبني قريظة وجهات أخرى.

ثم عدنا إلى المسجد قبل غروب الشمس بما يقرب من نصف الساعة.

وبعد صلاة المغرب ذهبنا إلى بيت الشيخ محمد الخيال عضو محكمة المدينة استجابة لدعوته فلبثنا عنده حتى قبيل آذان العشاء الآخرة، وقد قدم لنا فيه القهوة والشاي والحليب وختم المجلس بالبخور بالعود القماري الفاخر، ولم نذهب بعد العشاء الآخرة إلى أحد بل ذهبنا إلى المنام.

يوم الثلاثاء ٢ شوال عام ١٣٧١هـ ٢٤ يونيو عام ١٩٥٢م:

لم تكد تطلع الشمس وكنا نتناول طعام الفطور حتى حضر سائق فضيلة القاضي رئيس محكمة المدينة الشيخ عبدالله بن زاحم وسلم ثم قال: السيارة جاهزة تنتظركم.

وركبنا السيارة فقال السائق: إلى أين نذهب؟

قلنا إلى مسجد قباء فخرج بنا من غربي المدينة وسار في طريق زراعية تحيط بها أرض تكثر فيها المواضع الصالحة للزراعة وغير الصالح فيها هو السبخة والأرض الحرة أي التي قد جللتها الحجارة السوداء ثم بدأت تظهر البساتين والنخيل ولكنها مع ذلك ليست بالبساتين الناضرة وقد سألنا السائق عن السبب في ذلك فقال: السبب في ذلك هو قلة الماء فقد كان المطر قليلاً نزوله على المدينة في السنتين الماضيتين، ولم يكثر إلاَّ في هذه السنة ثم بعد ذلك قطعت السيارة بنا طريقاً كله لا يخلو تقريباً من الخضرة ولو لم تكن الخضرة الناضرة.

بعد ذلك وصلنا إلى مسجد قباء ودخلنا المسجد بخشوع وقد تلقانا الشرطي الواقف ببابه بالتحية والاحترام فدخلنا المسجد وقصدنا إلى قبلته حيث صلينا بالقرب من محرابه أربع ركعات ثم جلسنا بالمسجد فوجدنا إمامه الشيخ عمر الشنقيطي فعرفه بنا صاحبنا الشيخ محمد زين فتلقانا بالبشر والترحيب، وجعل يشرح

لنا بعض تاريخ المسجد، ويرينا إلى أي حد كان المسجد الأصلي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم حد زيادة عثمان رضي الله عنه، ثم زيادة عمر بن عبدالعزيز رحمه الله، وقد رأينا من كلامه كيف أن المسجد لم يكن بالصغير في ذلك الوقت، بل كانت الزيادات فيه بموجب ما ذكر صاحبنا وهو رجل عالم مطلع لا تزيد على ثلث المسقوف منه الآن.

وقد لاحظت أن جميع الأحجار الملساء البيض التي يتركب منها المنبر فيه قد ملئت بالكتابات المختلفة يتألف أكثر الكتابات من اسم صاحبه والدعاء له بالمغفرة وتاريخ الكتابة وفي جزء كبير منها يقول الكاتب: وودعت هذا المسجد، أو اودع كاتبه هذا المسجد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

ويرجع تاريخ هذه الكتابات التي رأيناها إلى مائتي سنة وأكثر فيما بين المائة والثمانين إلى المائة والعشرين سنة ولما لفت نظر إمام المسجد إلى تلك الكتابات وسألته عنها قال: إن هذا المنبر هو منبر المسجد النبوي سابقاً، وأنه لما أحضر للمسجد منبره الموجود الآن فيه نقل هذا المنبر إلى هذا المسجد، وأننا قد حاولنا محو هذه الكتابات ولكننا لم نستطع، وقد غسلناه بالماء والصابون والليفة فلم يتغير شيء من كتابتها.

وودعنا إمام المسجد والشرطي الذي فيه.

رجعنا إلى السيارة الصغيرة حيث عدنا من حيث أتينا.

قبر حمزة رضي الله عنه والشهداء:

وقلت في أثناء الطريق لسائق السيارة: إننا نريد أن نذهب إلى قبر حمزة بن عبدالمطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وقبور الشهداء الذين دفنوا معه في سفح جبل أحد لزيارة قبورهم والسلام عليهم، فخرج بنا من الجهة الشمالية للمدينة وواصل السير في طريق يتخلل خرائب قصور ونخيل وآبار عليها آثار العمارة القديمة حتى وصل إلى سفح جبل أحد فقادنا صاحبنا إلى ما يشبه أساس الحجرة الواسعة، بل إلى أساس حجرة غير واسعة حقيقة وفي وسطها قبر قد رفع عن الأرض قدر شبر وقد أحيط بحجارة تشبه اللبن وكسي ما بينها بالحجارة الصغيرة، وقال: إن هذا هو قبر حمزة رضي الله عنه، وإلى الشمال منه قبر أقصر منه وكان يجلس عند القبر شرطي مخصص لذلك لا يفارقه أبداً، وذلك خشية من أن يفعل بعض الزوار شيئاً من الشرك أو البدع، فسألناه عن ذلك القبر من هو صاحبه؟ فأجابنا بأنه قبر عقيل بن أبي أمية فراجعناه مرة ثانية فأجابنا بمثل جوابه الأول، فقال إنه لا علم عنده لأنه لا يوجد صحابي بهذا الاسم قتل يوم أحد.

وسلمنا عليهما ثم جعلنا نتجول بما حولهما من البيوت الخربة المبنية بالحجارة والتي تدل بقاياها على أنها قد شهدت في يوم من الأيام عمراناً واسعاً مزدهراً.

وغير بعيد منه يوجد عين ماء جارية قال صاحبنا: إن هذه العين قد أجراها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، وما زالت تجري حتى الآن وقد وجدنا جماعة من الحجاج الهنود يغتسلون في وسطها ويغسلون ثيابهم يلتمسون البركة بذلك.

وقد حدثنا صاحبنا عما حدث عند قبر حمزة رضي الله عنه وقبور الشهداء وما أحيط به الجميع من مبانٍ وقباب وغيرها والكل كان نصيبه الهدم على يدي جماعتنا النجديين.

لقد كنت أنظر إلى تلك القبور وقد أزيل كل ما حولها من الأبنية وألصقت بالأرض ولم يبق منها إلا آثار واضحة ظاهرة في الأنقاض الكثيرة المتبعثرة وأصول الحيطان التي قد بنيت من الحجر وصاحبنا يحدثنا بذلك، فأعجب بالروح الدينية الصلبة التي استطاع بفضلها النجديون أن يوضحوا لجميع مخالفيهم وهم بعض مسلمي العالم تقريباً ويردوا البناء حسب ما ورد في السنة وما كانت عليه في زمن الصحابة والتابعين.

هذا وإن صاحبنا وغير صاحبنا ليسلمون على قبر حمزة رضي الله عنه كأنما لا يداخلهم شك في أنه هو قبره بالذات، أما أنا فإنني لا أتحقق أنه هو لأن القبر خلو من أي دليل على ذلك ليس هناك من دليل على ذلك، وليس هناك من دليل إلا استفاضته يتناقلها الناس من آخرين عن أولين لاسيما وأن المسلمين في الصدر الأول من الإسلام لم يكونوا يبنون على القبور مساجد أو

بنايات أو حتى يعتنون بتبينها وإيضاحها الإيضاح الكافي فلم يكن أمام الذين بنوا على قبر حمزة رضي الله عنه تلك القباب المهدومة حينما أرادوا أن يتأكدوا من ذلك القبر هو قبره بالذات إن أرادوا ذلك إلا أن يعملوا بالاستفاضة.

ولكن المحقق الذي لا شك فيه هو أن قبور الشهداء الذين قتلوا في أحد عامة كانت جميعاً في هذه الجهة من سفح جبل أحد في مكانها التي هي فيه اليوم أو قريباً منه، وكانوا أكثر من السبعين وقد رأينا كيف أنه قد أحيطت بقعة من الأرض بأساس جدار كان في السابق جداراً كاملاً مبنياً بالحجر، بل كانت بناء أكثر من جدار وقيل لنا: إنه في داخله قبور الشهداء شهداء أحد، وهو الآن لا يزيد على أن يكون أرضاً كسائر الأراضي وليس فيه أثر القبور أو غيرها على أنه لا يتسع لكل السبعين ويحتمل أن الذين في داخله قبور بعض الشهداء لا كلهم.

مسجد القبلتين:

ومن الشهداء في سفح جبل أحد توجهنا إلى (مسجد القبلتين) وهو آخر الآثار التي سوف نزورها الآن.

سارت بنا السيارة مسافة ليست بالطويلة وإذا بنا نصل إلى مسجد صغير لا يتسع المسقوف منه لأكثر من خمسة وعشرين شخصاً تقريباً، وبجانبه مقهى صغير يبيع القهوة والشاي والماء البارد، ولكنه غير نظيف كأكثر مقاهي الحجاز.

وصلينا في فناء المسجد ركعتين لأن المسقوف منه كان مأهولاً ببعض الزوار المصريين الذين وصلوا قبلنا.

وجلسنا نتحدث قليلاً وإذ (بمزوِّر) أولئك الحجاج وهو أحد سكان المدينة يقبل علينا ويحتفي بنا، فسألناه عن بعض ما لم يتضح لنا مما رأيناه عن القبر الذي بجانب قبر حمزة رضي الله عنه فقال: إنه قبر مصعب بن عمير وسألناه عن آثار العمارة التي تحيط بقبر حمزة وقبور الشهداء معه ففغر فاه وقال لي بحماسة يشوبها بعض الأسى: كانت هذه يا سيدي منازل أبنية شامخة آهلة بالسكان، ولما قلنا لسائق السيارة: هيا لنذهب إلى المدينة قال صاحبنا هذا المزوِّر: إنه بقي عليكم من الآثار مسجد الخندق إنه من الأحسن أن تزوروه، فتظاهرنا بقبول قوله ولكننا امتطينا سيارتنا وذهبنا إلى المدينة ذلك لأنه ليس بمسجد للخندق الحقيقي، لأن الخندق لا يعرف مكانه بالضبط إلاَّ من حفر يقول بعض الجهال: إنها هي بقايا الخندق، ولكنها لا تنطبق على وصفه الحقيقي الذي ذكرته كتب التاريخ والسير.

والشيء الذي أثار استغرابنا وعجبنا الشديد في مسجد القبلتين هو نشاط الصحابة رضي الله عنهم ذلك لأن مسجد القبلتين إنما سمي بذلك لأن أحد الصحابة صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد النبوي وكانت الصلاة قبل ذلك إلى بيت المقدس، ولكنه نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم

بأن يتحول إلى استقبال الكعبة في ذلك اليوم، فلما صلى الصحابي معه وخرج إلى قومه خارج المدينة فوجدهم يصلون تلك الصلاة مستقبلين بيت المقدس فأخبرهم وهم في الصلاة مستقبلين الشام أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر باستقبال الكعبة فتحولوا إلى الكعبة.

مع أن المسافة التي بين هذا المسجد وبين المسجد النبوي تقرب من خمسة كيلو مترات ومع ذلك فقد قطعها ذلك الصحابي قبل أن يفوت وقت الصلاة، بل قبل أن يفوت وقتها المختار.

اللهم إلاَّ على فرض أن يكون قد تعمد أن يجدَّ في سيره لكي يلحق بصحبه قبل فوات الصلاة.

وقد عدنا إلى بيتنا في المدينة ولم يخل طريقنا من رؤية الآبار المعطلة والقصور المتهدمة وآثار الزراعة القديمة مما يشعرنا بأن المدينة كانت قد شهدت عهوداً زراعية زاهرة حتى إننا نمر بآبار عيون كانت جارية ولكنها الآن توقفت.

على مائدة القاضي:

وبعد صلاة الظهر بعد أن عدنا إلى البيت حضر أحد رجال القاضي يستحثنا للحضور إلى بيته.

ووجدنا في استقبالنا فضيلته وهو الشيخ عبدالله بن زاحم

رئيس المحكمة فتحدث إلينا بكل لطف وطلاقة وبعد أن تناولنا القهوة انتقلنا إلى غرفة الطعام وليس معنا إلاّ رجل غريب واحد.

جولة حول المدينة:

صلينا العصر في المسجد النبوي وبعد الصلاة خرجنا من المسجد ليس لنا هدف معين فجلنا فيما حوله من البيوت والأربطة من ناحية الجنوب ثم عطفنا إلى جهة الشمال فتفرجنا على الركن المهدوم من المسجد والذي يجري العمل في إصلاحه ثم واصلنا تجولنا الذي لا نقصد منه إلى هدف معين فخرجنا من الجهة الشرقية نسير بحذاء سور قديم غير متقن تظهر عليه علامات القدم واضحة ويدل على أن المدينة كانت سابقاً صغيرة محوية في هذا السور الذي لا يكفي لإسكان أكثر من عشرة آلاف نسمة هذا إذا كان كله مسكوناً، وقد بني هذا السور بالحجارة الصغيرة السوداء بطريقة غير فنية، فقد كدست عليه الحجارة بسخاء، ولكن جدرانه قد تماثل بعضها للسقوط وبعضها قد قارب أن يتهدم.

وكان منظر هذا السور القديم الغير متقن وقد فرش لحجارته بالطين الأسود مع منظر تربة الأرض وما حولها والجميع يعلوه السواد وينبعث منه الغبار مع ما يوحيه من إفناء الأجيال لمما يبعث في النفس الاشمئزاز ولا يرتاح إليه الخاطر إلا أن لرؤية الآثار لذة تخفف من وقع ذلك الألم على النفس.

وانتهى بنا مطافنا حول السور إلى مكان موحش ذي تربة سبخة داكنة غبراء وبجانبه جدار يمتد إلى مسافة ليست بالطويلة، فوقفنا قليلاً عنده وقلنا: إن هذا البناء لا يمكن أن يكون غير البقيع، فقد قيل لنا إنه قريب من هذه الجهة.

وقال أحد الرفاق: إن هذه فرصة لكي نزوره ونسلم على أهله فأبينا عليه ذلك وقلنا: إن صاحبنا محمد زين وهو مقيم في المدينة قد وعدنا أن يخرج بنا لزيارة البقيع، وهو الذي يستطيع أن يذكر لنا معلومات عن كل ما نراه أو عن أكثره، وإذا ما زرناه بدونه لا يتهيأ لنا ذلك.

ووجدنا على شفيره امرأتين قد وضعت كل منهما رأسها على يديها، فسألناهما هل هذا هو البقيع؟ فأجابا بالإيجاب، فقلنا: وما هو عملكما هنا؟ فقالا: إننا هنا نزوِّر النساء وخيل إليَّ ونحن ننظر إلى وسط البقيع الذي ارتفع حتى قارب أن ينيف على جداره بأن تربته قد ازدحمت فيها ألوف بل ملايين الأعين التي دفنت فيه بعضها فوق بعض منذ أربعة عشر قرناً، حتى الآن ولا تزال- وهي تحدق بنا وتسخر منا نحن الذين لم نذق من العيش إلاَّ صبابة شربوا صفوها.

واشمأزت أنفسنا وأظهر رفيقاي كذلك إنكارهما لنبش الأموات ودفن بعضهم على بعض وقالا: إن هذا مما لا ينبغي، كيف يدفن الفاسق

على التقي؟ وكيف يجمع بين الذكر والأنثى في الدفن؟

وكان قد قيل لنا قبل ذلك: إن البقيع جزء من أربعة أجزاء يدفن في كل جزء منها سنة واحدة تقريباً ويأتي دور كل واحد منها بعد أربعة أعوام، ولا تمر تلك الأعوام الأربعة حتى يكون الموتى قد بلي منهم أكثرهم وما بقي منهم من عظام أو غيرها فإنه يرمى حتى يبلى وينخر بعد حين.

وقيل لنا أيضاً: إن الأصل في البقيع لا ترتفع تربته على تربة الأرض المجاورة إلا أن كثرة الدفن فيه ونبشه قد جعله يربو حتى يرتفع عما يجاوره بأكثر من المترين، ونحن نعتقد أن أرضه ارتفعت أيضاً بسبب ما يحضر إليه من طين ولبن للقبور.

وعقدنا العزم على عدم زيارته الآن وانحدرنا في ممر صغير بين سور المدينة وبين البقيع فوجدنا باب البقيع يقع في ذلك الطريق، وقد اجتمع عند بابه جنود من الشرطة وهم يتضاحكون ويتمازحون، ولما رأونا مقبلين كفوا عن مزاحهم وقاموا للسلام علينا والترحيب بنا وقالوا: تفضلوا مشيرين إلى باب البقيع فشكرناهم وقلنا: لا نحب أن ندخل الآن ولاحظت أن سقف بابه ينزل قليلاً عن مستوى سطحه، وبابه قديم يرجع تاريخه فيما أظن إلى عدة قرون، وقد كتب على أعلاه بالخط القديم الذي كثيراً ما رأيته في مخطوطات القرن الثامن والتاسع "كل من عليها فان".

كما كتب في لوحة الرخام بجانب الباب (البقيع الشريف) ثم حديث النبي صلى الله عليه وسلم في فضل البقيع والدفن فيه يلوح لي من لفظه أنه من الأحاديث الضعيفة.

وبعد أن فارقنا هؤلاء الحرس التفتُّ إلى رفيقي وقلت لهما: لماذا تشمئز نفوسكم من البقيع وهؤلاء هم الجنود مهمتهم الجلوس فيه ولكنهم مع ذلك يضحكون؟

قلت لهم ذلك بغية التخفيف عنهم وأنا أعلم أن اعتياد الجلوس فيه هو الذي جعلهم كذلك وأن رفيقي لو أطالا الجلوس لديه أو التردد عليه لما أصبحا يحسان شيئاً في المستقبل.

ومما يزيد الموقف رهبة بناية بجانب البقيع كتب عليها (هنا مغسل الأموات)، وقد رويت الأرض بمياه جديدة حول بابها توحي بأنها مياه غسل فيها أموات ومن حوله كان رجل يستقي بصحفته ماءً من عين قريبة ويدخل به هذه الدار كأنه يحمله ليغسل به ميتاً.

فوقفنا قليلاً نستغفر الله تعالى ونرجوه التوفيق للعمل للدار الآخرة التي شاهدناها بأعيننا اليوم كما لم نشاهدها في الدار الدنيا قبل ذلك، وقال أحدنا: هل نعود إلى المدينة.

فقلنا: إن الوقت لا يزال مبكراً وأن الأفضل أن نتابع سيرنا

في التفافنا حول المدينة لنرى ما لم نره منها، فقال صاحباي: ولكن ألا ترى ما صنع بنا التجوال؟ قادنا إلى البقيع.

فقلت: وهل في المدينة بقيعان؟

وعزمنا على السير وسرنا في أزقة صغيرة تحيط بها جدران ترابية متهدمة يخفي بعضها وراءه مجموعة من المدر الذي قد كان في يوم من الأيام دوراً كما كان تراب البقيع الذي شاهدنا منذ لحظات أناساً يسكنون تلك الدرر وحتى البساتين هناك فهي يعلوها الكآبة ويلفها الذبول بلفائف صفر أو سود يكاد يطغى تأثيرها على من يشاهدها.

مشينا في تلك الأزقة على غير هدى، تعترينا مشاعر متناقضة لقد أحزننا أن نسير في تلك الطرقات ونرى أن المدينة كذلك، ولكن أليس هذا من الإطلاع على المدينة الذي كان من ضمن برامجنا؟

وقادتنا أرجلنا وسط تلك الخرائب الكثيرة التي لم تقتصر على الدور والمنازل، بل أصبحنا نرى خرائب متناثرة وأنقاض نخيل وأراضي بعضها مهدم، وبعضها لم يبق بينها وبين الموت إلاّ قيد شعرة، ولم يمسك من الحياة إلاّ بسبب واهٍ، قادتنا إلى زقاق لا يسع أكثر من سيارة واحدة خيل إلينا من أثر السيارات فيه أنه طريق عام مسلوك وإن كان من غير المشكوك فيه أن سالكيه إنما

هم من عابري السبيل الذين يفدون إلى المدينة من طريقه.

على أنه لم يبق بينه وبين أن يكون شارعاً واسعاً بل فضاءً إلاّ أن تزال بعض الأنقاض الكثيرة.

سبحان مالك الملك!:

هكذا يكون مصير الإنسان لم يبق من آثاره في الحياة الدنيا إلاّ بعض خرائب فيما حولنا هي كذلك تستتبعهم بعد حين ولعله غير طويل كما قال أبو الطيب المتنبي:

تتخلف الآثار عن أصحابها حيناً ويدركها الفناء فتتبع

نعم إنها سوف يدركها الفناء بعد حين فتتبع أصحابها إلى الفناء، ولكن هكذا الدنيا وهكذا الحياة!

أوليس هؤلاء الهالكون وهذه آثارهم قد عاشوا على آثار هالكين قبلهم ونزلوا في منازلهم، بل ولعلهم شمتوا بهم ولم يحفظوا ذكراهم ولم يبالوا بهم.

ثم ما الذي يحزننا وهذه هي الحقيقة في كل إنسان وهذه هي الحقيقة في كل البلاد العامرة كما هي في هذه البلاد الغامرة، إذا مات الإنسان فما هو الذي يعنيه من مساكن أسكنت بعده أم لم تسكن، أعمرت أو خربت؟ سيان ولا شك!!

قد يظن الإنسان وهو في الدنيا أنه يعنيه فيشيد الآثار لتحيي ذكراه، ولكن لا يعنيه ذلك في الممات وهو نهاية كل حي وإنما ذلك من اثر غريزة حب الخلود والبقاء في الإنسان وهي الغريزة التي لا يستطيع إشباعها في نفسه ببقائه بلحمه ودمه أكثر مما قدر له أن يبقى في الحياة فيعمد إلى أن تبقى ولو ذكراه، ولكن ابن آدم جزء من هذا الكون الحي، والموت بكل ما فيه من معنى من خمود واندثار وفناء وزوال واضمحلال نهاية كل مخلوق في هذا الكون ومنه الإنسان!

ورغم ما عانيناه من التعب والغبار ورؤية تلك الخرائب المتهدمة فقد واصلنا تجوالنا حتى وصلنا إلى باب حائط مفتوح، وكنا نبحث عن مثله لكي نشاهد نظام الري هناك وحالة النخيل والمزروعات عن كثب.

دخلنا من ذلك الباب فوجدنا فيه بركة صغيرة قد طليت بالأسمنت فصعدنا إليها درجتين لأنها كانت مرتفعة قليلاً، وكان ما صدمنا أن وجدنا الماء يكاد يتحجر من شدة ملوحته ولم نفطن إلى أن صاحب الحائط موجود إلاّ عندما قال: إننا تركنا الماء لأنه تغير علينا وإننا الآن نسقي من أحد جيراننا فسألناه وما هو السبب في تغيره؟ فأجاب بأن الأمطار في هذه السنة كثيرة وأن الماء الذي يمد هذه القليب وما حواليها يمر على أرض سبخة وأنه يتغير لذلك.

وكان ذلك الحائط الذي كانت له بئر خاصة يسقي منها بطريقة السواني وأظنه على حمار أو حمارين عبارة عن بقعة صغيرة لا تتعدى سعتها ٤٠ متراً في ٦٠ متراً وتشتمل على ما يقرب من بضع عشرة نخلة وما بينها بالبرسيم إلاّ أنه غير جيد وقد لاطفنا صاحبه بالكلام وشكرنا ودعا لنا- وهو يقصد معشر النجديين- بدوام العز والتمكين.

ثم واصلنا السير إلى جهة الجنوب الغربي حتى اعترضنا وادٍ تقع على جانبه الشرقي بساتين يظهر من مظهرها أنها بساتين مزدهرة، وهي تسقى بالمكاين، فمشينا مع ذلك الوادي عائدين إلى جهة الشمال الشرقي إلى المدينة، وعندما قاربنا أن نصل إلى المدينة سألنا عن اسم ذلك الوادي فقيل لنا: إن اسمه وادي حمزة ودخلنا المدينة من بابها الجنوبي قبل غروب الشمس بعشرين دقيقة تقريباً، وقد أخذ منا التعب مأخذه ولكننا قمنا بجولة حول المدينة من أكثر جهاتها.

والواقع أننا لم نكن نظن قبل ذلك بأن المدينة هكذا أكثرها خراب وبأن مساحة العمران منها هكذا محدودة ضيقة، وكنا نظن أننا سوف نجد أطراف المدينة أنظف تربة وأحسن منظراً وأكثر عمراناً مما هي عليه، بل إنه لا مناسبة بين ما رسمناه في خواطرنا للمدينة من صور وبين ما رأيناه منها في الواقع.

عدد سكان المدينة:

لا يوجد في جميع المملكة إحصاء رسمي للسكان في أية مدينة أو قرية من مدن أو قرى المملكة، ولكننا قدرنا أن سكان المدينة يبلغون حوالي الثلاثين ألف نسمة.

وبعد أن سألنا جماعة من المطلعين فيها كالقضاة وغيرهم أفادنا رئيس الآمرين بالمعروف بالمدينة وهو رجل نجدي ويشرف على توزيع الصدقات في المدينة بحكم منصبه لأنه توزيع يجري عادة على يد لجنة مؤلفة من مندوب عن القضاء وآخر عن الإمارة وآخر عن هيئة الأمر بالمعروف واثنان أو ثلاثة من أهل المدينة الأصليين، قال لنا صاحبنا هذا: إن المسجلين في دفاتر الصدقات للمدينة وهم طبعاً جميع سكان المدينة عددهم ستة وأربعون ألف نسمة إلاّ أن العدد الحقيقي هو في نظري لا يزيد على خمسة وعشرين ألف نسمة لأن من المعتاد أن يزيد الرجل في مقدار عدد عائلته عن الصحة لكي يحصل من ذلك على زيادة في عدد المقررات.

وبهذه المناسبة نقول: إنه وردت إلى المدينة منذ يومين صدقة من الملك عبدالعزيز آل سعود مقدارها مائتا ألف ريال هذا غير الصدقات التي ترد إليها من الخارج، وقد حدثنا أن جميع أهل المدينة ولو كانوا موظفين في غير حاجة إلى الصدقة ينالهم نصيب منها.

يوم الساحة:

إن مسكننا يقع في شارع الساحة، ولقد هالني حين خرجت اليوم فوجدت ذلك الشارع يموج بالذاهبين والآتين والداخلين والخارجين مما لم اشهد له أو لما يقرب منه في ازدحام الناس بالمدينة مثيلاً فقد اجتمع كل من بالمدينة تقريباً وصاروا يزورون هذا الشارع ولم أفهم السر لأول مرة حتى سألت عنه فقيل لي: بأنه من عادة أهل المدينة أن يقسموا المدينة إلى أقسام كل قسم منها يزورونه يوماً زيارة العيد ويسمونها في نجد معايدة، قالوا: إن اليوم هو يوم الساحة وغداً يوم المناخة أو غيرها ثم كذا وكذا من حارات المدينة لمدة أربعة أيام بعد أيام العيد.

يوم الأربعاء ٣ شوال عام ١٣٧١هـ ٢٥ يونيو ١٥٩٢م:

مسجد الغمامة:

كان أحد رفيقيَّ تاجراً كما قدمت وهو صالح بن عبداللطيف، ولذلك ذهب صباح اليوم بعد طعام الإفطار إلى السوق سوق البيع والشراء في المدينة.

أما نحن- الاثنين الباقيين- أنا وزميلي القاضي الشيخ عبدالله بن سليمان بن حميد فقد عقدنا أيدينا ويممنا وجوهنا شطر غرب المدينة لكي نزور مسجد الغمامة ومسجداً آخر حوله، وقد دخلنا

مسجد الغمامة فوجدنا فيه رجلاً يمانياً ساذجاً ذكر لنا أن له في هذا المسجد مدة طويلة لم يبرحه إلى غيره.

وهو مسجد ليس بالكبير يتسع لحوالي مائة وعشرين مصلياً ومع ذلك ومع أنه لا يبعد عن المسجد النبوي كثيراً فإنه قد وضع فيه منبر للخطابة في صلاة الجمعة كما بنيت فيه دكة صغيرة ترتفع عن الأرض حوالي المترين معدة لكي يكون عليها المبلغ عن الإمام كما هي الحال في جميع مساجد المدينة التي رأيناها.

وفي رحبة المسجد وجميعه مسقّف كان مقر مدرسة ليلية صغيرة يظهر أنها يدرس فيها القرآن والكتابة فقط.

وكم كان أسفي بالغاً عندما رأيت ما يشبه خزانة كتب مغلقة ولا سبيل لفتحها، والمسجد كله مبني على طراز العمارة التركية في القرون الأخيرة.

وبعد أن صلينا في المسجد ركعتين وتجولنا فيه خرجنا عائدين إلى السوق، ثم إلى البيت حيث جلسنا نطالع بعض الصحف والمجلات المصرية التي اشتريناها منه.

جولة أيضاً:

بعد أن صلينا صلاة العصر خرجنا معاً من المسجد النبوي قاصدين الجهة الشمالية الغربية من المدينة وهي الجهة التي لم

نتجول فيها، فخرجنا مع وادي بطحان إلى قرب جبل سلع، وكان قد وصف لنا أن هذا هو سلع الذي يتغنى به الشعراء على مر العصور فلم أرَ في ظاهره ما يثير الشعر أو يذكي الشوق، ولكنني عقدت العزم على اعتلائه مرة أخرى، ورؤية ما إذا كان هو وما حوله من الأماكن التي تتردد على ألسنة المشتاقين والملتاعين حقاً يثير كامن الحب في نفس الغريب أم لا.

وتركنا سلعاً وما حوله، واتجهنا غرباً وكانت مناظر لا تشتهيها أنفسنا ولا تلذها أعيننا عبارة عن حجارة سوداء يعلوها ما يشبه الغبار ومع ذلك كان فيها كثير من المرتفعات والحفر والمنخفضات لأن تلك الأرض الجبلية البركانية كأنها يقتطع منها الحجارة للعمارة والبناء وقادتنا أرجلنا بطريق المصادفة إلى السكة الحديدية الحجازية التي كانت تصل الحجاز بالشام وتعطلت إبان الحرب العظمى الأولى.

والواقع أنني تعجبت من الدقة التي تظهر بها، لقد رأيت في العام الماضي سكة حديد الظهران الرياض وهي سكة حديثة فلم أرها تختلف كثيراً عن السكة القديمة، وإذا بكل هذا الزمن العظيم في عالم المصنوعات والمخترعات لم ينل شيئاً من السكة الحديدية.

ومشينا مع هذه السكة قاصدين البلد بعد أن أوغلنا قليلاً في

الحرة التي كثيراً ما يرى بين الحجارة السوداء التي تجللها منخفضات صغيرة قد زرعت ببعض المزروعات وغرست فيها النخيل إلاّ أنها مزارع صغيرة.

ثم وصلنا إلى محطة السكة الحديد، وإذا بها محطة فخمة واسعة فيها مسجد رشيق قد بني على الطراز التركي الجميل، وقد نحتت حجارته جميعها من حجارة الحرة السوداء وأجمل ما فيه منذنتاه الشاهقتان إلى السماء على دقتهما وفيها كذلك مستودعات ومحلات كلها قد بنيت بالحجارة السوداء الصماء.

ولقد دهشنا حينما رأينا الشارع المسمى شارع العنبرية يتطرق إلى محطة سكة الحديد نفسها فسلكنا ذلك الشارع ومن المحطة خرجنا معه أيضاً إلى سكة الحديد وما زالت حتى قاربنا الدخول إلى نفس المدينة فانقطعت، وهذا الشارع أي شارع العنبرية هو أعظم شارع في المدينة طولاً وقد امتدت القصور والثكنات والبيوت على حاشيتيه.

يوم الخميس ٤ شوال عام ١٣٧١هـ ٢٥ يونيو ١٩٥٢م:

أهذه التي يتغزلون بها؟:

من حسن حظي أن حضر اليوم مع صاحبنا أحد المهاجرين إلى المدينة وهو رجل بحريني من جزيرة البحرين فرجعنا معه

إلى خارج المدينة، وكان مقصدنا جبل سلع الصغير ويقع خارج سور المدينة قريباً من الباب الشامي واخترنا قمته لكي نشرف على المدينة ومن هناك قال صاحبنا هذا: ألا تحب أن أريك المواضع التي شغلت جزءاً كبيراً من الشعر العربي لأنه قل أن تخلو قصيدة غزلية من ذكر هذه المواضع ومن حنين إليها وتغزل بها ولو لم يرها الشاعر أو لم يعرفها أو لم يدر ما هي هل هي جبل أو وديان أو شعاب أو رياض، صدمت في أملي بأن لا أراها كذلك.

فلم أر فيها ما يستوجب شيئاً من ذلك مما يوحي بالشعر ويثير الجمال.

على أنني بعدما رجعت إلى نفسي قدرت أن تلك المواضع قد كانت في زمن ما زمن أن قيلت تلك الأشعار الأول فيها والمدينة مزدهرة من ناحية الزراعة والبناء والعمارة وفيما بين ذلك تمرح الأوانس الناعمات المدللات المترفات بوصف المدينة عاصمة الدولة الإسلامية في زمن الخلفاء الراشدين وهو الزمن الذي نظم أكثر تلك الأشعار فيه.

لاسيما وأن الترف والنعيم قد جعل فتيان المدينة وشعراءها ينصرفون إلى مجالس اللهو يغذونها بأشعارهم يجلبون المغنيين والظرفاء إليها بأدبهم وظرفهم وغناهم.

لاسيما وقد روت بعض الكتب أنه كان في بعض هذه المواضع قصور عامرة وبساتين ناضرة ومناظر تخلب اللب وتثير الشعور.

قد يكون هذا وأغلب الظن أنه قد كان فيكون عذر الشعراء الأولين من أهل المدينة واضحاً بل السبب الذي أثار شعورهم وشعرهم معروف، ولكن ما هو السبب الذي جعل الشعراء أو من يدعون الشعر طيلة القرون الماضية من القرن الأول حتى القرن الرابع عشر يكررون ذكر تلك البقاع في أشعارهم الغزلية ويتغنون بها وهي خلاء دامرة لا فرق بينها و بين أي مكان آخر في البرية أو في خرائب المدن؟

لا سبب إلا أن شعرهم ليس شعراً بالمعنى المفهوم من لفظ الشعر ليس شعراً من الشعور ولكنه أبيات منظومة مقفاة قالوها لغيرهم ومشياً على سنة الأقدمين ولو لم يفهموا المراد الباعث للأقدمين على ما قالوه أو فعلوه.

والواقع أن داء بلاد المسلمين في العصر الذي يلي العصور الذهبية من بعد عصر هرون الرشيد إنما يمكن تلخيصه في كلمة واحدة هي (التقليد)!!!

ذلك التقليد الذي لم يسلم منه حتى الشعر الذي يفترض فيه أنه يفيض من أعماق الشعور وينضح من العاطفة.

يوم الجمعة ٥ شوال سنة ١٣٧١هـ ٢٦ يونيو عام ١٩٥٢م:

غادرنا المدينة المنورة في يوم الجمعة عصراً قاصدين حائل مع سيارة لأحد أهل بريدة واسمه ابن مشاري ومن حائل عدنا إلى بريدة ولله الحمد.

إنتهى.

رحلات انطلقت من المدينة المنورة:

أنشئت الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة بمعنى بدأ العمل في إنشائها عام ١٣٨٠هـ، وذلك بناء على رغبة من الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية في ذلك الوقت فبحثت الأمر مع شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ المفتي الأكبر للمملكة ورئيس إدارات الكليات والمعاهد العلمية وهو كان المسئول عن الشئون الدينية.

وقد تقرر في الاجتماع بين الملك والمفتي ترشيحي للعمل فيها مديراً على أن أكون تحت رئاسة شخص آخر من المنطقة الغربية يكون نائباً للرئيس لأن الرئيس هو الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ نفسه.

كنت في ذلك الوقت أشغل وظيفة (مدير المعهد العلمي في بريدة) وهو تابع لرئاسة الكليات والمعاهد العلمية المذكورة، ولذلك كان الشيخ محمد بن إبراهيم يعرفني من عملي هناك.

وكان تعييني في أول السنة الدراسية ولذلك لم يمكنا أن ننهي إجراءات إنشاء الجامعة وابتداء الدراسة فيها في تلك السنة.

وقد أمر الملك سعود بأن يكون الشيخ عبدالله خياط الإمام والخطيب في الحرم الحرام هو نائب رئيس الجامعة وأنا مدير الجامعة، إلا أنه اعتذر فتقرر تكليف الشيخ محمد بن علي الحركان فاعتذر أيضاً، وكنا قطعنا في هذه الأثناء مراحل ومنها انتهاء نظام الجامعة وما يتبعه من إجراءات والانتهاء من وضع

ميزانية الجامعة.

ثم جاءت الخطوة العملية باختيار الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية، وكان يشغل وظيفة أستاذ في كلية الشريعة في الرياض.

وقد بادر الشيخ عبدالعزيز بن باز بنشاطه المعهود ونحن معه بافتتاح الجامعة في عام ١٣٨١هـ وهو العام التالي للأمر بإنشائها، وذلك أمر طبيعي.

وكنا وضعنا في نظام الجامعة أن تكون مقاعد الطلاب فيها على هيئة منح دراسية تخصص لأبناء المسلمين من خارج بلادنا ماعدا ٢٠% تكون لطلاب سعوديين.

وعندما بدأنا عملياً بذلك وجدنا أن كثيراً من الشهادات التي تقدم إلى الجامعة من طلاب أجانب تأتي من جهات لا نعرفها من مدارس ومعاهد وجمعيات إسلامية فكان لابد من التحقق من ذلك إضافة إلى ما عرفناه من تركيز المنصرين على القارة الإفريقية.

فرأيت أنه يجب إرسال بعثة من الجامعة إلى الأقطار الإفريقية وأن نبدأ بأقطار شرق إفريقية ووسطها.

ووضعت الخطة لذلك فوافق عليها صاحب الفضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز نائب الرئيس وطلب مني أن أعرضها على صاحب السماحة رئيس الجامعة الشيخ محمد بن إبراهيم في الرياض فوافق عليها.

وهي هذه:

الاتصال بزعماء المسلمين وعلمائهم في الدول التي تزورها البعثة للاطلاع منهم على أحوال المسلمين وفهم مشكلاتهم.

إلقاء محاضرات وكلمات دينية في الأندية والمساجد والجمعيات الإسلامية.

تنظيم جداول إحصائية للسكان المسلمين في كل قطر تزوره البعثة، ومواضع سكناهم منه، ونسبتهم إلى مجموع سكانه من غير المسلمين.

تقدير حاجة كل بلد إلى المساعدات التي يمكن تقديمها سواء من الجامعة الإسلامية، أو الهيئات الأخرى في المملكة.

بذل المساعدة المالية للجمعيات والهيئات والأفراد الدعاة من المسلمين، للمساعدة على بناء المساجد، أو سير الدراسة في المدارس، وتشجيع الدعاة على الدعوة، وذلك في حدود المبالغ المالية التي تحملها البعثة.

توزيع المصاحف والكتب والمطبوعات الإسلامية حسب تقدير البعثة، على أن تعد بذلك بيانات ترسل بواسطة إحدى السفارات السعودية القريبة من البلد الذي تصرف له الكتب.

الإطلاع على النشاط الموجود في الدعوة إلى الإسلام بين المواطنين وغيرهم في كل بلد، ومعرفة فعاليته.

كتابة إيضاحات مفصلة عن أحوال المسلمين المادية،

ومركزهم الاجتماعي، في كل بلد تزوره البعثة.

تنظيم جداول بعناوين ومراكز الهيئات والشخصيات الإسلامية الموجودة في كل بلد تزوره البعثة، ليسهل الرجوع إليها عند الحاجة.

تقدير المنح الدراسية التي يحتاجها كل بلد في الجامعة الإسلامية حسب درجة حاجته للتعليم الإسلامي.

تقدير حاجة المدارس الإسلامية إلى وجود المدرسين السعوديين الذين يدرسون الدين الإسلام واللغة العربية، والذين قد تتوفر الظروف في المستقبل لابتعاثهم إلى تلك البلاد.

تقدير حاجة المسلمين هناك إلى المطبوعات الإسلامية باللغة العربية واللغات الأخرى.

تقديم الاقتراحات عمَّن تراهم البعثة أهلاً لأن تدعوهم الجامعة الإسلامية لإلقاء محاضرات فيها، أو للتعاون معهم في مجال الثقافة الإسلامية.

وانطلقت رحلتنا تلك من المدينة المنورة في يوم الثلاثاء ٣/٢٦/ ١٣٨٤هـ، وكانت فاتحة رحلات مهمة للدعوة إلى الله وللاتصال بالإخوة المسلمين بغية التعاون معهم على ذلك وتقديم المساعدات الأخوية لهم.

واخترت لمرافقتي شيخين من الجامعة من أجل الوعظ والإرشاد وهما الشيخ أبو بكر جابر الجزائري المدرس في المعهد

الثانوي التابع للجامعة، ونعم الرجل هو، والثاني الشيخ عمر بن محمد فلاته مدير دار الحديث في المدينة.

وكان انطلاق الرحلة من المدينة في يوم الثلاثاء ١٣٨٤/٤/٢٦هـ الموافق ٤ أغسطس في عام ١٩٦٤م.

وقد زرنا في تلك الرحلة الدول التالية:

السودان، تنزانيا، زامبيا، ارتيريا، أوغندا، زمبابوي، الحبشة، بورندي، جنوب إفريقية، كينيا، ملاوي، الكنغو.

كانت تلك الرحلة مهمة لي إذ زرت فيها دولاً عديدة واستغرقت كلها قرابة ٤ أشهر من طرائف المصادفات فيها أننا غادرنا بلادنا وملكها الملك سعود بن عبدالعزيز وعدنا إليها وملكها الملك فيصل بن عبدالعزيز.

وقد ميزت هذه الرحلة الطويلة الشاقة عندي ميزتان أولاهما: أنني كتبت فيها مذكرات يومية رأيتها مهمة للعمل في الجامعة الإسلامية سجلت فيها كل ما كنت أشاهده يومياً.

وملاحظاتي على ذلك أن المعلومات التي لدينا عن المسلمين في الأقطار التي زرناها كانت ناقصة أو مشوشة، بل بعضها كان يجانب الحقيقة، لأن الذين كتبوها هم من الإفرنج الذين يأخذون المعلومات عن المسلمين عن غير يقين دقيق، إن لم نقل إن بعضهم وإن كانوا الأقلية منهم فيما نعتقد كانوا يتعمدون ذلك متأثرين بنشأتهم النصرانية المتعصبة ضد الإسلام.

وهذا لا يمنع من وجود أحرار كثر – وإن لم يكونوا الأكثرية- من الإفرنج الذين يتناولون أمور المسلمين بروح بحثية متجردة.

وهذا أمر نفعني وسرت عليه في بقية رحلاتي في العالم.

والميزة الثانية التي لم أظن أنها ستكون قد فتحت لي باب الرحلات الدعوية العلمية المبنية على المشاهدة وأخذ المعلومات عن المسلمين من مصادرها الأساسية ومن واقع المسلمين.

ولم يكن يدور في خلدي ولا خطر ببالي أن هذه الرحلة ستفتح لي هذا الباب الواسع الذي ولجته ووصل بي ولوجه إلى أن أولف ١٧١ كتاباً في الرحلات، طبع منها حتى هذا العام الذي أكتب فيه هذه الكلمات وهو عام ١٤٣٠هـ ١٠٦ كتبت والبقية في طريقها للطبع بإذن الله.

وقد ألفت مذكراتي اليومية في هذه الرحلة وفي الرحلة الثانية التي تلتها بعد سنتين أول كتاب كتبته في الرحلات بعنوان: (في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين) الذي ما أن طبعته حتى فوجئت بالأمر الذي صار لطباعته في نفوس القراء والباحثين إلى درجة لا يتسع هذا المجال لذكرها.

ولكن ذلك شجعني بقوة على أن أواصل الكتابة والتأليف في الرحلات التي أقوم بها.

بعد أن عدنا من رحلتنا قدمت تقريراً إلى رئاسة الجامعة

الإسلامية فأعجب وقرضه الشيخ عبدالعزيز بن باز، بل سارع إلى ذلك كعادته المسارعة إلى الخير ويتضمن اقتراحاً باعتماد وظائف خمسين داعية إلى الله لإفريقية ذكرت أماكنهم، وأن تخصص منح لطلاب من الأقطار التي زرناها في الجامعة الإسلامية، وعرفنا- ميدانيا- مدى حاجة المسلمين فيها إلى الدراسة الدينية، وأن ينشأ مركزان للدعوة في إفريقية أحدهما لشرق إفريقية يكون مقره في نيروبي عاصمة كينيا والثاني لغرب إفريقية يكون مقره لاغوس عاصمة نيجيريا.

فرفع رئيس الجامعة الإسلامية الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله ذلك للملك فيصل مقترحاً الموافقة عليه، وأن أعود إلى إفريقية في رحلة ثانية لتطبيقه.

وهكذا كانت الرحلة الثانية المهمة إلى إفريقية بعد الأولى بسنتين، إذ بدأت في يوم السبت ٥ جمادى الأولى عام ١٣٨٦هـ الذي يوافقه ٢١ أغسطس عام ١٩٦٦م، ولم أختر للسفر معي إلا الأستاذ عبدالرحمن بن حمود الباحوث رئيس المحاسبة في الجامعة الإسلامية لأنني صرت أحمل مبالغ من المال أمر بها الملك فيصل رحمه الله لتوزيعها على بعض الجمعيات والمؤسسات الإسلامية في إفريقية ولمصروفات افتتاح المركز الإسلامي في نيروبي.

وقد استغرقت وقتاً أطول من الأولى.

هاتان الرحلتان من أهم الرحلات التي انطلقت من الجامعة

الإسلامية، وقد انطلقت بعدهما رحلات عديدة إلى أنحاء كثيرة من أنحاء العالم، بل ربما صح القول تجاوزاً بأنها شملت العالم كله، والحديث عن الرحلات الأولى منها مهم لأنه لم يسجل في كتب مثل رحلتي إلى جنوب شرق آسيا التي شملت ماليزيا وإندونيسيا وتايلند وأخذت لمصاحبتي فيها الشيخ عبدالعزيز بن محمد القويفلي مدير المعهد الثانوي التابع للجامعة في ذلك الوقت.

ورحلتي إلى باكستان وأفغانستان وإيران التي أخذت لمرافقتي فيها الدكتور محمد بن حمود الوايلي المدرس بالجامعة.

كما قمت وأنا في الجامعة الإسلامية بأولى رحالتي إلى البرازيل وأمريكا الجنوبية.

وهذا هو الذي يعني قولي في العنوان: إنه رحلات انطلقت من المدينة المنورة.

إنتهى.

الفهرس

تقديم الناشر	٥
كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف	٧
مؤلفات مطبوعة في غير فن الرحلات	١٩
من بريدة إلى المدينة المنورة	٢٣
استودع الله دينك وأمانتك	٢٥
في عنيزة	٢٥
بلدة الرس	٢٩
بين أبانين	٣٣
الحناكية	٣٧
ما شاء الله!	٣٩
البحث عن بيت	٤٠
المسجد النبوي	٤٥
السلام على المشايخ	٤٥
النظافة والجمال	٤٩
هذا ما أريده	٥٠
خداع المظهر	٥٢
الاستعداد ليوم العيد	٥٣
غداً العيد	٥٤
اليوم العيد	٥٥
الخطبة	٥٥
العرض العسكري	٥٦
لدى القضاة	٥٧

من العائدين الفايزين ٥٩
قبر حمزة رضي الله عنه والشهداء ٦٣
مسجد القبلتين ٦٥
على مائدة القاضي ٦٧
جولة حول المدينة ٦٨
سبحان مالك الملك! ٧٣
عدد سكان المدينة ٧٦
يوم الساحة ٧٧
مسجد الغمامة ٧٧
جولة أيضاً ٧٨
أهذه التي يتغزلون بها؟ ٨٠
رحلات انطلقت من المدينة المنورة ٨٤
الفهرس ٩٣